الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول : بناء القصائد والمقطعات

المبحث الثاني :المعجم الشعري الإسلامي

المبحث الثالث : الأساليـــــب

المبحث الرابع :إقتبـــاس الشـعراء مـن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

المبحث الخامس : الصورة الشعرية

المبحث السادس :الإيقاع

المبحث الاول
بناء القصائد والمقطعات

عندما بزغ فجر الإسلام بنوره الجديد الذي أضاء به أركانَ الجزيرة العربية ، وتفتحت عليه عيون المؤمنين وتيقظت له بصائرهم وعقولهم[1] ، فأبدلهم خلقا آخر قوامه العقيدة الإسلامية التي جاء بها هذا الدين العظيم ، فاصبح همهم تلبية نداء الجهاد الذي وجدوا فيه نيل مناهم وغايتهم ، ووجدوا فيه لذة الشهادة التي كثرما استعذبتهم بطعمها . وهذا النور الذي أضاء الجزيرة العربية ، لم تكن عيون شعراء المسلمين وعقولهم بعيدة عنه ، بل استضاءت وتنورت به ، خاصة إذا علمنا أَنَّ هؤلاء الشعراء هم أول من كان يتقدم صفوف المجاهدين ، وأمتد أثر الإسلام الى نِتاجهم الأدبي وخاصة فيما ينظمونه من أشعار كثيرة ، فحذف أغراضاً لا تتفق ومبادئ الدين ، واستحدث أَغراضاً جديدة ، فأبعدهم الإسلام عن الغزل المتهتك والخمريات والهجاء المقذع الفاحش[2] ، وأبدل مضامين الأغراض القديمة مضامين جديدة ، فقد (تحول المديح من مظهر الأبهة إلى مظهر الإشادة بالرسالة وتعظيم فضل من حملها . وانطلق الفخر من حدوده الفردية إلى التغني بالإسلام والإعتزاز بشرف الإنتساب إلى الجماعة المسلمة)[3]، وأصبحت غاية الرثاء تمجيد الشهداء والإشادة بفعاليم ومواقفهم وتعداد مآثرهم ، وَإِنْ كان يتفق مع الرثاء الجاهلي فيما يشيع فيه من الحزن والأسى على الفقيد ، إلاّ أنه يختلف عنه فيما يُبديه المسلم من روح التسليم بقضاء الله تعالى وقدره ، والإمتثال لإرادته تعالى والإستبشار بما أعدَّه الله تعالى للشهداء من اجر عظيم[4] .

واستحدث موضوعات (جديدة تتصل اتصالا وثيقا بالدعوة الإسلامية وما رافقها من أحداث في جزيرتهم وعلى أرضهم ، أو بعيداً عنها في بلاد فارس والروم التي اندفعوا نحوها حاملين مصابيح الهداية والنور إليها)[5] ، ومن هذه الموضوعات الجديدة

---

(١) يُنظر: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام ، ٤١ ، د. محمد عبد المنعم خفاجي .

(٢) يُنظر: الإسلام والشعراء: ٨٢ ، د. سامي مكي العاني .

(٣) سعر العقيدة : ٣١٧ .

(٤) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٢٤٦ .

(٥) مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام: ٢٣ ، د. حسين عطوان .

الشعر الديني الذي تحدثوا فيه عن عقيدة الدين الجديد ومُثُله العليا ، ودعـوا إلى التمسـك بها ، والتحلي بما تَدعُو له هذه العقيدة ، وكذلك استحدثوا غـرض الوعـظ والإرشـاد ، فدعوا الناس من خلاله إلى التزام أوامر الدين الجديـد والحـث على تنفيذها ، والتمسـك بها [1] . مفيدين من قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [2]. وهذا التأثير لم يتوقف عند حدود الموضوعات التي حملتها هذه الأشعار وما توحيه مـن معنى ، بل امتد إلى البناء الفني لهذه الأشعار وطريقة تركيبها التي هـي أسـاس مادتنـا الشعرية ، لان موضوع الشهادة والشهيد ليس غرضاً قائما بذاته في أغلب الأحوال وإنمـا حاول الشعراء أن يُخْضِعُوا معظم الأغراض الشعرية لجوانب مختلفة منه [3]. يُضاف إلـى هذه المادة ما أنشده المجاهدون من أناشيد تغنوا بها في ساحات الوغـى يُرَغِّبُـون فيـها أنفسهم وإخوانهم في مواصلة الجهاد والفوز بالشهادة في سبيل الله تعالى ، فأصبح لدينـا نوعان من المنظومات هما: القصيد والرجز ، ولكي نبين أثر الإسلام فـي النـوع الأول سوف ندرسه على وفق ثلاث مراحل: المقدمة ، المطلع والخاتمة .

١. المقدمـة:

إنَّ الدارس لنصوص الشعر العربي قبل الإسلام يلاحظ علـى ناظميـها تمسـكهم بعمود الشعر العربي ، ومحافظتهم على معانيه ومبانيه ، ولم يخرجـوا علـى شـكله وأجزائه ، إذ أثبتوا في صدور قصائدهم الطويلة المقدمات المتنوعة التي يمكن توزيعـها إلى اتجاهين: اتجاه أساسي ، وتمثلهُ المقدمة الطللية ، والمقدمة الغزليـة ، ومقدمـة وصف الظعن ، واتجاه فرعيّ ، وتُمَثِّلُهُ مقدمة الشباب والشـيب ، ومقدمـة وصـف الطيف ، ومقدمة الفروسية ، معتمدين في توزيعها على مقدار انتشارها فـي افتتاحـات قصائدهم[4] ، أمَّا القصد من ذكر هذه المقدمات فيقول ابن قتيبة: (إنَّ مُقصَّد القصيـد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثـار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واسـتوقف

(١) يُنظر: الإسلام والشعر: ٨٢ – ٨٤ ، د. سامي مكي العاني .

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

(٣) يُنظر: شعر العقيدة: ٣٠١ .

(٤) يُنظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: ١١٤ – ١٧٤ ، د. حسين عطوان .

الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، ... ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ليميلَ نحوه القلوب ويَصرِفَ إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الإسماع إليه ، لأنَّ التشبيب قريب من النفوس لا نُطَّ بالقلوب ، ... فإذا علمَ أنَّهُ قد استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له عقَّب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، ... . فالشاعر الجيد من سلك هذه الأساليب)[1]. لكن هذه المقدمات نجدها قليلة الوجود في قصائد شعراء المسلمين وما نظموه من أشعار تخص دراستنا ، وهذه القلة لا تعني (ثورة على التقاليد التي كانت تكاملت وتأصلت في قصائد الشعر الجاهلي منذ زمن مبكر ، بل كان ثمرة لابد أنْ تنتجها الأحداث المتدافعة والتغيرات المتلاحقة التي كانوا يشهدونها) [2] ، فظروف (القتال وقسوة الحياة تحت ظلال السيوف لم تكن لتعينهم على التنفس الغنائي الهادي) [3] ، كما إنها لم تترك للشاعر فرصة الإسهاب في عرض أفكاره والخوض في جزئيات الأحداث ووقائعها ومن هنا كان الإيجاز سمة واضحة في هذا الشعر ، لأنه كان يدور في الغالب حول فكرة واحدة وينعدم فيه تعدد الأغراض [4] .

فمن هذه المقدمات القليلة المقدمة الطللية الوحيدة التي انفرد بها حسان بن ثابت في قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، فبدأ هذه القصيدة بمخاطبة الأطلال الدارسة ثم انتقل بعدها إلى بكاء حمزة والإشادة بشجاعته وما تحلى به من معانى أصيلة [5] ، فقال [6]:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا ... بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ

---

(١) الشعر والشعراء: ١/٢٠ – ٢١ .

(٢) مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام: ٢٣ .

(٣) شعر الفتوح الإسلامية: ٢٣٨ .

(٤) يُنظر: لمحات من الطولة لغرسة في شعر الحرب: ٤٥ .

(٥) يُنظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٢٧٥ .

(٦) ديوانه: ٣٢١ .

بَيْـنَ السَّراديحِ فَادْمَـانَـــــةٍ فَمَدْفَعِ الرُّوحَـــــاءِ في حَـــائِلِ[1]
سَأَلْتُهَـا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَـــتْ لَمْ تَدْرِ مَـــا مَرْجُوعَـــةُ السَّـائِلِ
دَعْ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَفَـا رَسْمُـهَا وَابْكِ عَلَـى حَمْـزَةَ ذي النَّائِـــلِ

ونجده قد صَدَّرَ قصيدتين اثنتين بمقدمة عاطفية ، كانت الاولى في رثـاء شـهداء اللواء يوم أُحد ، وهذه المقدمة العاطفية هي بلا شك رمزٌ خفي لهؤلاء الشهداء ، ويتصـل بطبيعة الموضوع الذي يُصوره حسان فيما بعد في رثاء هؤلاء الشهداء[2] ، فقال [3]:

مَنَعَ النَّـــومَ بِالعِشَـاءِ الهُمُـومُ وَخَيَالٌ إذا تَغُـــورُ النُّجُـــومُ
مِنْ حَبِيْبٍ أَصَـــابَ قَلْبَـكَ مِنْـهُ سَقَمٌ فَهُوَ داخِـــلٌ مَكْتُـــومُ
يَا لَقَوْمي هَلْ يَقْتُلُ المَـــرْءَ مِثْلِـي وَاهِنُ البَطْشِ وَالعِظَـامِ سَـؤُومُ
هَمُّهَا العِطْرُ وَالفِـــرَاشُ وَيَعْـــلُوْ هَـــا لَجُينٌ ولؤلـؤٌ مَنْظُـــومُ
لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَـــدِ الـذُّ رَّ عَلَيْهَا لأَنْدَبَتْهَـــا الكُلُـــومُ
لَمْ تَفُقْهَا شَمْسُ النَّهَـــارِ بِشَـــيءٍ غَيْرَ أنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَـــدُومُ

ويمضي الشاعر بعد ذلك في هذه القصيدة (فيفخر بنفسه فخراً جاهلياً محضاً فـي أسلوبه ومعانيه حتى إذا بلغ موطن الرثاء حافظ على هذه الطبيعة الجاهلية على مسـتواه الفني المعروف لشعره الجاهلي ، لأنه لم يتطرق إلى أية معانٍ إسلامية من تلك التي كانت تواجهه بمشكلة الملاءمة بين التجربة الجديـدة والأسلوب القديم) [4] ، فقال [5]:

بِسْعَةٌ تَحْمِـــلُ اللـــواءَ وَطَـــارَتْ في رَعَاعٍ مِنَ القَنَـــا مَخْـــزُومُ[6]

---

(١) السراديح: جمع سرداح وهو الوادي أو المكان المتسع . يُنظر: اللسان: ١٩٨٨/٣ ، وأدمانة: شعبة تدفع عن يمين بدر ثلاثة أميال ، وحائل: موضع . يُنظر: معجم البلدان : ١٠٧/١ و ١١١/٣ .

(٢) يُنظر: في الشعر الإسلامي والاموي: ٤٦ ، د. عبد القادر القط .

(٣) ديوانه: ٤٠ .

(٤) في الشعر الإسلامي والاموي: ٤٧ .

(٥) ديوانه: ٤١ .

(٦) الرَّعَاع: رعاع الناس سُفَاطُهُم وَسَفِلَتُهُم . يُنظر: اللسان: ١٦٧٢/٣ (رع) .

لَوْ يُوَلُّوا حَتَّـــى أُبِيـــدُوا جميعـــاً ... فِي مَقَـــامٍ وَكُلُّـــهُمْ مَذْمُـــــــومُ
بِدَمٍ عـــاتِكٍ وَكَـــانَ حِفَاظَـــاً ... أنْ يُقِيمُـــوا ، إنَّ الكَـــرِيمَ كَـــرِيمُ
وَأَقَامُوا حَتَّـــى أُزِيـــرُوا شَـــعُوبَاً ... وَالقَنَـــا فِي نُحُورِهِـــمْ مَحْطُـــومُ
وَقُرَيْشٌ تَلُـــوذُ مِنَّـــا لِـــوَاذاً ... لَمْ يُقِيمُوا ، وَخَفَّ مِنْهَـــا الحُلُـــومُ
لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ العَواتِـقُ مِنْـــهُم ... إنَّمَا يَحْمِـــلُ اللِّـــوَاءَ النُّجُـــــومُ

ويسلك الشاعر هذا المسلك الفني النفسي في قصيدة أخـــرى رثـــى بـــها شـــهداء المسلمين في موقعة مؤتة ، وهي – المقدمة – أيضاً رمزٌ لما بعدها [1] ، قال [2]:

تَـــأوَّبَنِي لَيْـــلٌ بَيَـــثْرِبَ أَعْسَـــرُ ... وَهَمٌّ إذا مـــا نَـــوَّمَ النَّـــاسَ مُسْـــهِرُ
لِذِكْرَى حَبِيْبٍ هَيَّجَتْ ثُمَّ عَـــبْرَةً ... سَفُوْحَاً وَأَسْـــبَابُ البُكَـــاءِ التَّذَكُّـــرُ
بَلاءٌ ، وَفِقْـــدَانُ الحَبِيـــبِ بَلِيَّـــةٌ ... وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَـــى ثُـــمَّ يَصْـــبِرُ

ثم ينتقل مباشرة إلى الرثاء [3] :

رأيتُ خيـــارَ المؤمنينَ تَـــوارَدُوا ... شَعُوبَ [4] وَقَدْ خُلِفتُ فِيمَنْ يُؤَخَّـــرُ

وكعب بن مالك هو أيضا قد صدَّر قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب ﷺ بمقدمة غزلية تغزل فيها بحبيبة ضُمرية وتحسرَّ فيها على سلخ الشباب الأغيد الـــذي طالما كان رمز رحيل الشباب عن عمر الشاعر إيذاناً بـــإعراض الحبيبـــة وصدودهـــا . فالحبيبة الضمرية تدعو فؤاده للهوى وهو يودع الشباب الذي مضى ، وكـــان بوســـعه أنْ يُقيم على هذه المفارقة المؤلمة موقفا نفسيا مفجعاً ، ولكنَّه سرعان ما يُغادر أرض المعاناة ويدع التمادي في الغواية ، ليس لإحساسه بفجيعة الموقف ، ولكن لأنَّ الهوى (غـــوري) والصحب (منجد) ، وما أنْ يقترب من جرح المعاناة في البيت الأخـــير مـــن مقطـــع

(١) يُنظر: في الشعر الإسلامي والاموي: ٤٨ .
(٢) ديوانه: ٩٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٤) شعوب: اسم المنية مؤنثة وهي معرفة لا تنصرف ، وسميت بذلك لانها تشعب أي تفرق . يُنظر: المخصص / ٢ لســـ السادس / ١٢١ .

النسيب حتى يأمر النفس أَنْ تنتزع عمَّا لم تعد آهلا لممارسته من تجارب الحب ، وهـذا الأمر منوط بباعثين: أحدهما باعث إسلامي قد يكون ذا أثر خفي في انتزاع النفس من مواطن الشبهات ، وثانيهما انقطاع النفس وعزم الشاعر على الانتقال إلى المجرى الرثائي من مقطع النسيب ، بعد أَنْ أدرك أنّه افتتاح مرثية لا يسمح النمط بامتداده كثيراً ، فجعل البيت الأخير من النسيب جسراً انتقل به النسيب إلى رثاء حمزة [1] ، فقال [2]:

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فالرُّقادُ مُسَهَّدُ ... وَجَزَعْتَ أن سُلِخَ الشَّبَابُ الأغيدُ

وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلهَوَى ضُمريَّةٌ ... فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْبُكَ مُنْجِدُ

فَدَعِ التَّمَادي في الغَوَايَةِ سَادِراً ... قَدْ كُنْتَ في طَلَبِ الغَوَايَةِ تُفْنِدُ

وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أنْ تَنَاهيَ طَائِعَاً ... أو تَسْتَفِيْقَ إذا مَا نَهَاكَ المُرْشِدُ

وَلَقَدْ هُدِيتُ لِفَقْدِ حَمزةَ هَدَّةً ... ظُلَّتْ بَنَاتُ الجَوْفِ مِنْهَا تَرْعِدُ

كما نجد هذه المقدمة الغزلية تتصدر قصيدة الشماخ بن ضرار الذبياني التي رثى بها بُكير بن شداد الليثي ، فالشاعر في هذه المقدمة يُقسم أنّه لا ينسى وَإنْ طال العهد به لقاءه بحبيبته ابنة الضمري في البلد الخالي ، لكنه كلما تذكرها وتذكر لقاءها شعر بعدم امكانية اللقاء بها مرة ثانية لانه قد حالت بينه وبينها قرى أذربيجان التي استشهد فيها هذا البطل الشجاع ، فقال [3] :

لَعَمْرِي لا أنْسَى وَإنْ طَالَ عَهْدُنَا ... لِقاءَ ابنةِ الضَّمْرِيِّ في البَلَدِ الخَالي

تَذَكَّرْتُها وَهْنَاً[4] وَقَدْ حَالَ دُونَها ... قُرَى أَذْرَبِيْجَانَ المَسالِحُ والجَالي [5]

---

(١) يُنظر: نصوص من الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الاموي: ٢٣٤ – ٢٣٥

(٢) ديوانه: ١٥٩ .

(٣) ديوانه: ٤٥٥ ، حققه وشرحه د. صلاح الدين الهادي .

(٤) وهنا: نحو من نصف الليل ، بعد ساعة منه . يُنظر: اللسان: ٦/٤٤٣٦ (وهن)

(٥) المسالح: مواضع المحافة ، والجالي: يقول جلا القوم عن أوطانهم: يجلون واجلوا إذا خرجوا من بلد إلى بلد ، فقصد الشاعر القرى التي خربت وجلى عنها أهلها . يُنظر: اللسان: ٣/٢٠٦١ (سلح)

والمصدر نفسه : ١/٦٦٩ (جلى) .

أَلا يَا أَصْبَحَانِي قَبْلَ غَارَةِ سِنْجَـالِ [1] وَقَبْلَ مَنَايَا بَـاكِرَاتٍ وَآجَـالِ

ثم ينتقل الى رثاء هذا الشهيد مُبتدئاً ذلك في نهاية عجز بيته الاتي [2]:

وَقَبْلَ اختِلاف القَـومِ مِنْ بَينِ سَالِبٍ وَآخـرَ مَسْلوبٍ هَوَى بَيْنَ أَبْطَالِ

فنحن نرى مما تقدم أنّ حسان وكعباً هما أكثر الشعراء – فيما يخـص دراستنا – إحتفاءً بهذه المقدمات على قلتها ، أمّا غيرهم فلم نجد لهذه المقدمات وجوداً في أشعارهم ، وربما يعود سبب ذلك إلى أنهم لم (يكن لديهم ذلك الإلمام الواسـع بـالتراث الشـعري الجاهلي ، ولا ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ والعبارات والصور التي كان لابدَّ ان يُلـمَّ بها الشاعر المحترف ويتخذها ركيزة لما يقول من الشعر) [3] .

أمّا في العصر الأموي فقد تحرر معظم الشعراء من هذه المقدمات التقليدية التـي حرص شعراء ما قبل الإسلام على التمسك بها ، وقلت عند شـعراء صـدر الإسـلام ، وأصبحت نادرة الوجود عند شعراء هذا العصر [4] ، فلا توجد منها إلاّ مقدمتان اثنتـان غزليتان ، إحداهما افتتح بها أبو صخر الهذلي قصيدته التـي رثـى بـها ابنـه داود ، والأخرى كانت مقدمة لقصيدة الشرعبي الطائي التي نظمـها متـأثراً بمصـاب شـهداء المسلمين يوم الشعب ، وهذه الظاهرة ظاهرة افتتاح قصائد الرثاء بالغزل ، يمكن عـزو تواجدها بهذه الصورة إلى سببين: الأول: أنها أصبحت تقليداً فنياً درج عليـه الشـعراء وحرصوا على أدائه . أما السبب الثاني: فهو إنّ عاطفة الصدود والفراق وعاطفة الرثـاء هما إحساس يتدفق من ينبوع إحساس واحد ، وتتفقان بأنهما فراقـاً ويسـتثيران عاطفـة متشابهة ، ويعبران عن لوعة متقاربة [5] ، وهذان التعليلان كلاهما يدخل (فـي إطـار واحد لأنهما يعبران عن وجدان ذاتي عاطفي) [6].

---

(١) السِنْجَار: قرية بأرمينية وقيل بأذربيجان . يُنظر: معجم البلدان: ٥/٧٩ .

(٢) ديوانه : ٤٥٦ .

(٣) في الشعر الإسلامي والاموي: ٤٩ – ٥٠ .

(٤) يُنظر: الإسلام والشعر: ٢٤٠ ، د. سامي مكي العاني .

(٥) يُنظر: شعراء أُمويون: ق٤/١٧ .

(٦) المصدر نفسه .

وعودة إلى مقدمة أبي صخر الهذلي الغزلية التي أوحى لنا في بدايتها ابتعاده عن اللهو وعزوفه عن النساء ، ونراه يحاكم نفسه وينصح الآخرين طالبا منهم الابتعاد عن النساء ، لكنَّ هذه النصيحة كانت لها معارضة من قبل من نصحهم ، الذين أجابوه: كيف تنهانا وأنت تحبهُنَّ وتتغزل بهِنَّ . عندها اعترف بردهم ولم ينكر جوابهم [1] ، فقال [2]:

تَعَزَّيْتَ عَنْ ذِكْرِ الصِّبَى والحَبَائِبِ ... وَأَصْبَحْتَ عِزْهَى لِلصِّبَى كالمُجانِبِ [3]

وَأَصْبَحْتَ تَلْحَى حِينَ رِعْتَ مُحمَّداً ... وَأَصْحَابَهُ أَنْ يُعجَبُوا بالكَوَاعِبِ

وَلَو أَنَّهُم قَالوا لقد كُنتَ مَرَّةً ... عَرَفْتُ وَلَمْ أُنكِرْ جَوابَ المُجاوبِ

وبعد هذا الرد المُفحم له يعود الى نفسه ثانية ليسوِّغ إعجابه بالنساء والحديث عنهُنَّ وقد سِرنَ أسراباً كأمثال الدمى ، يُضئن الدجى ، وقد امتلأت وتكاملت أجسامهنَّ وهُنَّ يمشينَ بخطى وئيدة ، وبعيدات عن كل ما يَشين عِفتهنَّ ، ويستمر في غزله لهُنَّ وما جرى بينه وبينهُنَّ وما ناله منهنَّ [4] ، فقال [5]:

فإن يَلبَسُوا بُرْدَ الشَّبَاب وخَالَهُ ... وأَغتَدِ في أَطْمَارِ أَشْعَثَ شَاحِبِ

فَسِرْبٌ كَأَمْثَالِ الدُّمى مُنْتَهَى المُنَى ... يُضِئْنَ الدُّجَى لَفٌّ ثِقَالِ الحَقَائِبِ

قِصَارِ الخُطَى شُمٌّ شُموسٍ عَنْ الخَنَا ... خِدَالِ الشَّوَى فُتْخِ الأَكُفِّ خَرَاعِبِ

كَمَرْزِ السَّقَى في حَائِرٍ غَدِقِ الثَّرى ... عِذَابِ اللَّمَى يُحْبَينَ طَلَ المَنَاسِبِ

كَبَيْضِ النَّقَا في حَاجِرٍ قَرِدِ الثَّرى ... جَلَتْهُ الصَّبَا مِيلِ طِوَالِ الذَّوائِبِ

تَصَابَيْتُ حَتَّى اللَّيلِ مِنْهُنَّ رَغْبَتِي ... رَوَانِي في يَوْمٍ مِنَ اللَّهْوِ هَاضِبِ

---

(١) شعراء أمويون: ق٤/٢٠ – ٢١ .

(٢) شرح أشعار الهذليين: ٢/٩١٥ – ٩١٦ .

(٣) الصواب في كلمتي (الصبى وعزهى) أن تكتبا بالالف القائمة (الصبا وعزها) لان أصل هذه الالف واو ، ولم يغير ذلك في المتن لان الشعر هكذا ورد في الديوان . ينظر: أدب الكاتب: ٢٠٣ – ٢٠٥ لابن قتيبة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

(٤) يُنظر: شعراء أمويون: ق٤/٢١ .

(٥) شرح أشعار الهذليين: ٢/٩١٦ – ٩١٧ .

(والليل هنا له الصورة التي عودنا على ذكرها كل الذين تفزعهم ظلمته ، وتغشاهم سعته وتطويهم أستاره ولكل واحد منهم فيه مأربه) [1] ، ويستمر في غزله فيقول [2]:

مَعِي غَـزِلٌ ذُو نِيقَـةٍ مُتَنـافِسٌ جَمِيـلٌ مُحَيَّـاهُ قَلِيـلُ المَعَـايِبِ
فَرُحْنَا وَلَمْ يَحْتَزْنَ سِرّاً لِغَيْرِنَـا سِوَانَا وَلَمْ نَعْبَثْ خِـلاسَ المَنَـاهِبِ

ويصل في أواخر لوحته الغزلية هذه إلى إعراض النساء عنه لمّا شاب ، لكـن لا ذنب له في ذهاب الليالي ، ودوام الأيام ، وأمام هذا الصدود منـهن تجاهَـهُ يَلجـأ إلـى ترضيـة نفسه مُذكِّـراً إياها أنَّه سبق له أنْ نالَ مآربه من لذاتهن [3]، فقال [4]:

فَأَعْرَضْنَ لَمّا شِـبْتُ عَنّـي تَعَزُّمَـاً وَهَلْ لِي ذَنْبٌ فِي اللَّيَالِي الذَّوَاهِـبِ
فَلا مَا مَضَى يَثْنَى وَلاَ الشَّيْبُ يُشْتَرَى فَأَصْفِقَ عِنْدَ السَّوْمِ بَيْعَ المُخَـالِبِ
فَـإِنْ أَرَ مِنْـهُنَّ الغَـدَاةَ صَرِيمَـةً فَقَدْ نِلْتُ مِـنْ لَذَّاتِـهِنَّ مَـآرِبِي

وهذه المحاولة الأخيرة هي حالة من (الشعور باليأس ، وإحباط يُوحي بالتراجع ، وصورة تدلل على الإخفاق الذي يمتلك خوافق الشاعر) [5] . وقد استغرقت هذه المقدمـة أربعة عشر بيتاً ، بعدها انتقل إلى تمهيد له علاقة برثاء ابنه داود ، إذ افتتحه بذكر الذيـن رُزِي بهم من أخٍ أو عم ، أو ابن أخ وكريم ، فيقول [6]:

وَكَمْ مِنْ أخٍ أو عَمٍّ صِـدَقٍ رُزِئْتُـهُ أو ابْـنِ أَخٍ سَـمْحٍ كَرِيمِ الضَّرَائِبِ

أمّا المقدمة الغزلية الثانية فكانت كما تقدم لقصيدة الشرعبي الطائي التي نظمها فـي حق شهداء يوم الشِّعب ، ففي هذه المقدمة نجده يتذكر حبه لحبيبته هند التي أضحت بعيـدة عنه ، في ديار غريبة بعيدة ، ويسأل إن كان حبل الشوق سيجمع بينهما مـرة أخـرى ،

(١) شعراء أُمويون: ق٤/٢١ .
(٢) شرح أشعار الهذليين: ٢/٩١٧ .
(٣) يُنظر: شعراء أُمويون: ق٤/١٩ .
(٤) شرح أشعار الهذليين: ٢/٩١٧ .
(٥) شعراء أُمويون: ق٤/١٩ .
(٦) شرح أشعار الهذليين: ٢/٩١٧ .

وما زال يتذكر هنداً ويَذْكُر ما يحول بينه وبينها ، إنّه الشّعب الذي لاقى فيه شهداء المسلمين مصيرهم ، فقال [1]:

تَذَكَّرْتُ هِنْدَاً فِي بِلَادٍ غَرِيبَةٍ فَيَالَكَ شَوْقَاً هَلْ لِشِمْلِكَ مَجْمَعُ

تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّاشُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَشِعْبٌ عِصَامٍ وَالمَنَايَا تَطَلَّعُ

فذكر في مقدمته القصيرة هذه رموزا ذات علاقة بغرض القصيدة ، فهند التي أصبحت في بلاد بعيدة ، ما هي إلاّ رمزٌ لشهداء المسلمين الذين استشهدوا في بلاد خاقان البعيدة وبعد هذه المقدمة تطرق الى مضمون قصيدته ، فذكر مسير أعداء الإسلام ، خاقان وجنده الذين فاقوا المسلمين في العدد والعدة ، ومع مسير هذا الجيش شُرِّعَتْ المنايا ، فقال [2] :

بِلَادٌ بِها خَاقَانُ جَمٌّ زُحُوفُهُ وَنَيْلَانُ فِي سَبْعِينَ أَلْفَاً مُقَنَّعُ

إِذَا دَبَّ خاقانُ وَسَارَتْ جُنُودُهُ أَتَتْنَا المَنَايَا عِنْدَ ذَلِكَ شُرَّعُ

وفي بقية أبيات القصيدة نراه جاعلا هنداً رمزاً لقلة المسلمين ، فهي تطلب المساعدة ، وتنادي طالبة الحماية ، فهو يحاول مساعدتها والدفاع عنها [3].

وكما تبين مما تقدم فإن هاتين المقدمتين هما ما وُجِدَ عند شعراء هذا العصر فيما يخصُ موضوع الدراسة ، فهي إذاً قليلة الوجود عند شعراء صدر الإسلام ، ونادرة الوجود عند شعراء العصر الأموي ، وهذا الفرق بينهما يمكن أن يعزوه البحث – ومن خلال الدراسة – إلى أن قلته عند شعراء صدر الإسلام كان من أثر الشعراء المخضرمين ، الذين تمسكوا ودرجوا على هذا الأسلوب عندما كانوا ينظمون أشعارهم قبل الإسلام ، وقد انتقل هذا المنهج معهم إلى ما نظموه من أشعار إسلامية [4].

---

(١) تاريخ الطبري: ٨/٢١٤ – ٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٨/٢١٥ .

(٣) يُنظر: المصدر نفسه.

(٤) يُنظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: ٣٤٨ – ٣٤٩ .

فهذه المقدمات كما تبين كانت قليلة الوجود في أشعارهم ، ومتأثرةً بتعاليم الدين الإسلامي ، أمّا في العصر الأموي فإن شعراءهُ قد تركوا عن هذا التقليد الجاهلي الأصل ، لأنهم وجدوا بديلا عنه ، كالمقدمات الدينية التي شاعت بكثرة في عصرهم [١] .

٢. **المطلع:**

مثلما اهتم النقاد والشعراء القدامى بمقدمة القصيدة ، نال مطلعها اهتمامهم وعنايتهم ، (لأنه أوّل ما يقرع السمع ، وبه يُستدل على ما عنده من أول وهلة) [٢]، وهذا المطلع اشترطوا له شروطاً بتوافرها تكتمل جودته ويُفهم معناه ، فلابُدَّ (أَنْ يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بُنيت عليه ، مُشعراً بغرض الناظم ، من غير تصريح بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ، ويُستدل بها على قصده) [٣] . فإذا توفرت فيه شروط الإجادة وكان (حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً ، كان داعيةً إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام) [٤] ، والشاعر الجيد هو من (أجاد الابتداء والمطلع)[٥] . ولابد أنْ يكون المطلع ملائما لمضمون القصيدة ، فقصيدة الرثاء مثلا لابد أنْ يكون مطلعها ذا علاقة بذكر (البكاء ووصف إقفار الديار وتشتت الآلاف ونعي الشباب ، وذم الزمان ...) [٦] ، وهذا ما وجد فعلا عند قسم من شعراء صدر الإسلام الذين جعلوا من البكاء والحزن مطلعا لعدد من قصائدهم التي نظموها في رثاء شهداء المسلمين ، والإحصاء الآتي الذي أُجْرِيَ على أشهر الشعراء والشواعر المسلمين وغيرهم

---

(١) ينظر: الإسلام والشعر: ٢٤٠ ، د. سامي مكي العاني .

(٢) العمدة: ٢١٧/١ ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، وينظر: خزانة الادب وغاية الارب: ٢١/١ لابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو .

(٣) خزانة الادب وغاية الارب: ٣٠/١ .

(٤) الصناعتين: ٤٣٧ ، لابي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم .

(٥) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: ٢٧٧/٢ ، للإمام يحيى بن حمزة العلوي ، وينظر: الصناعتين: ٤٣٤ .

(٦) عيار الشعر: ١٢٢ ، لابن طباطبا العلوي ، تحقيق د.طه الحاجري ، ود. محمد زغلول سلام ، الصناعتين: ٤٣١ .

ممن نظم شعراً رثى به شهداء المسلمين يبيّن ذلك .

ت	الشعراء وغيرهم من لم يتخصص به	عدد القصائد	عدد مطالعها البكائية
١.	حسان بن ثابت	٢٧	٩
٢.	كعب بن مالك	١٠	٧
٣.	عبد الله بن رواحة	١	١
٤.	أبو الاسود الدؤلي	٢	١
٥.	الوليد بن عقبة	٥	١
٦.	خالد بن الوليد	٢	٢
٧.	عمار بن ياسر	١	١
٨.	عاتكة بنت زيد بن نفيل	٣	٢
٩.	هند بنت أثاثه بن عباد	١	١
	المجموع	٥٢	٢٥

فمن خلال هذا الإحصاء يتبين لنا أنَّ نصف مطالع هذه القصائد أو ما يقارب النصف كانت بكائية حزينة ، أمّا النصف الآخر من هذه المطالع فتنوعت بتنوع ثقافة الشعراء وغاية كل واحد منهم .

فحسان بن ثابت نجده في مرثية له ومن خلال مطلعها صابراً محتسباً ، ومؤمناً بقدر الله تعالى وقضائه ، وأنَّ هذا القدر وهذا القضاء إذا ما قدره الله تعالى فلا دافع له ، كما أن صالح الأيام الماضية ليس لها رجعة ، هذا ما تضمنه مطلع قصيدته التي رثى بها سعد بن معاذ ، فقال [١] :

أَلاَ يَا لَقَومٍ هَل لِمَا حُمَّ دَافِعُ وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ العَيْشِ رَاجِعُ

وفي مرثية أخرى له جعل من مطلعها دعاءً لشهداء الرجيع بالرحمة والمغفرة ، لأنهم جاهدوا وَقَاتَلوا وَقُتِلُوا في سبيل الله تعالى ، فقال [٢] :

صَلَّى الإلهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَـوْمَ الرَّجِيْـعِ فَأُكرِمُـوا وأُثِيبُـوا

---

(١) ديوانه : ٢٦٧ .

(٢) المصدر نفسه: ١٧٩ .

واتبع نهجه هذا الشماخ بن ضرار حين استهل مطلع مرثيته التي رثى بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، فدعا له بالخير وأنْ يجزيه الله تعالى خير الجزاء ، وأنْ يبارك في جسده الممزق ، فقال [1]:

جَزَى اللهُ خَيراً مِنْ أميرٍ وَبَارَكَتْ يَدُ اللهِ في ذاكَ الأديمِ المُمَزَّقِ

أمَّا الإمام علي ﷺ فنجده في مطلع قصيدته التي رثى بها شهداء أُحد مؤمنا بالله تعالى وموحداً له تعالى غاية الإخلاص ، فقد أثبت الإمام في هذا المطلع ديمومة الله ﷻ أمَّا غيره فيهلك ويفنى ، وهو القادر على كل شيء ، فيلجأ إليه كل الخلق إذا مسَّهُمْ السوء وهو القادر على ذهابه ، وهذا الملك العظيم هو لله وحده لا يُشركه فيه أحد ، وهو تعالى الذي عَرَّفَ الكفَّار مَنزِلَهُم في نار جهنّم ، أمَّا المؤمنون فسيجزيهم الجنّة بما وعدهم ، فهذا الإمام علي يُثبتُ ذلك كله [2] :

اللهُ حَيٌّ قَدِيْمٌ قَادِرٌ صَمَدٌ فَلَيسَ يُشْرِكَهُ في مُلْكِهِ أَحَدُ

هُوَ الَّذي عَرَّفَ الكُفَّارَ مَنْزِلَهُمْ وَالْمُؤمِنونَ سَيَجْزِيْهِم بِمَا وُعِدُوا

وهذا الحطيئة يحزن لاستشهاد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ، وينطق لسانه حكمةً أودعها مطلع مرثيته له ، ومفادها أنَّ البكاء لا يردُّ هالكا ، فإن كان قد ردَّ أحداً ، فليجهد الباكون على عمر ، فقال [3]:

تَأَمَّلْ فَإنْ كَانَ البُكا رَدَّ هَالِكَاً عَلَى أهْلِهِ فَاجْهَدْ بُكَاكَ عَلى عَمْرِ

أمَّا حسان بن ثابت فنجده في قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب ﷺ يُصور لنا محاورته مع ابنته التي جاءت تسأل عن قبر ابيها الشجاع المغوار ، وقصده من هذه المحاورة تأكيد شجاعة هذا الرجل البطل الذي لقَّبهُ رسول الله ﷺ ، بأسد الله ، في أذهان المستمعين ، فقال [4]:

تُسَائِلُ عَنْ قَبْرِ هِجَانٍ سَمَيْدَعٍ لَدَى الباسِ مِغْوَارِ الصَّباحِ جَسُورِ

---

(١) ديوانه: ٤٤٨ ، وينظر: مثله في ديوان حسان: ٣٢٠ .

(٢) ديوانه : ٦٢ .

(٣) ديوانه: ٢٩٨ .

(٤) ديوانه: ١٣٣ ، وفي معجم ديوان أشعار النساء تسب لصفية بنت عبد المطلب : ١٠٥ .

كذلك نجد كعب بن مالك قد استهل قصيدته التي ردَّ بها على ضرار بن الخطاب الذي فخر بمقتل الشهيد سعد بن معاذ ﷺ ، بمطلع يجيب فيه على سائلةٍ تسألُ عما لقيه المسلمون يوم الخندق ، فاجابها أنها لو شهدت نفسها ذلك اليوم لرأت صبر المجاهدين المسلمين ومنهم الشهيد سعد بن معاذ ، وقصده من هذه المحاورة أنْ يبين لضرار شجاعة المسلمين وصبرهم التي بيّنها في بقية أبيات القصيدة ، فقال [1]:

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ مَا لَقِيْنَا ... وَلَو شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِيْنَا

صَبَرْنَا لا نَرى للهِ عِدْلاً ... عَلى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِيْنَا

إنَّ الرد السريع على اعداء الإسلام كان يقتضي جواباً سريعاً يعتمد على المطلع المباشر لفكرته ، ولهذا نجد أنَّ قسماً من المطالع جاءت مركزة ومكثفة تشع خلال الأبيات وتتفاعل في وحدة الموضوع ، وتمثل مفتاحا لما سيأتي بعدها من أبيات تتغنى بشجاعة المسلمين في القتال وإقدامهم وحبهم للشهادة في سبيل الله تعالى [2]، ويشبه هذا المعنى ما نجده في مطلع أبيات كعب بن مالك التي أنشدها يوم خيبر وأكد فيها شجاعة المسلمين وإقدامهم وحبهم للشهادة ، فقال [3]:

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَرَاً وَقُرُوضَه ... بِكُلِّ فَتَى عَارِي الأَشَاجِعِ مِذْوَدِ

وفي أبياته الاخرى التي أنشدها يوم أُحد مُجيباً بها المشركين الذين فخروا بمقتل شهداء المسلمين ، فأبلغ في ردٍّ سريع قريشاً وتعجب من فخرها على ما تظن أنّها فعلت أمراً يستحق الفخر ، لان الذين قَتَلْتُمْ هم شهداء أبرار ؛ ومن بقي منهم حياً فهو أسد شجاع ، فقال [4]:

أَلاَ أَبْلِغْ قُرَيْشَاً عَلى نَأيَهَا ... أَتَفْخَرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَنَلِي ؟

وقد وجدنا قسما من المطالع قد استجاب لروح العصر وما به من أحداث ، بحيث أنَّ دوي الأحداث انعكس من خلاله ، فمثل لنا صورة جلية من صور الإلتزام

---

(١) ديوانه: ٢١٥ .

(٢) يُنظر: أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي: ١٢ ، رسالة دكتوراه – كلية الاداب – بغداد – احمد شاكر غضيب – ١٩٨٩.

(٣) ديوانه: ١٦٤ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٠١ .

الشاعر تجاه أحداث عصره [1]، فمطلع قصيدة حسان التي رثى بها سُليط بن قيس [2] نراه يستجيب للحدث الكبير الذي أصاب المسلمين يوم الجسر ، فقال [3]:

لَقَدْ عَظُمَتْ فِيْنَـــا الرَّزِيَّـــةُ إنَّنـــا جِلادٌ على رَيْبِ الحَوَادِثِ وَالدَّهْـــرِ

عَلَى الجِسْرِ يَوْمَ الجِسْرِ لهفي عَلَيْـهِمْ فَيَا لَهَفَ نَفْسِي لِلمُصَابِ عَلى الجِسْرِ

أمَّا كعب بن مالك فقد استهل مطلع مرثيته التي رثى بها حمزة بالأمر ، طالبا مـن خلاله أن تبكي صفية وتَبْكِي النساء معها على حمزة ، فقال [4]:

صَفِيَـــةُ قُـــومِي وَلا تَعْجَـــزِي وَبَـــكِّي النِّســـاءَ عَلى حمـــزة

أمَّا شعراء العصر الأموي فهم أيضاً اهتموا بمطالع أشعارهم التي تنوعـت بتنـوع ثقافة الشعراء ، واختلاف مضامين أشعارهم ، وصلة هذه المطالع بما بعدها من أشـعار ، وما يرومه الشاعر من مطلعه الشعري ، ولكنَّ مطالع أشعار هذا العصر كانت أقل مـن مطالع أشعار صدر الإسلام ، وهذا لا يعني أنَّ هـؤلاء الشـعراء لـم يـهتموا بمطـالع أشعارهم ، بل إنَّ السبب يعود الى قلة ما وصل الينا من شعر الشهادة والشـهيد الخـاص بهذا العصر فما جمعناه من هذا الشعر لهذا العصرقد وصل إلى نصـف عـدد شـعر الشهادة والشهيد ، في عصر صدر الإسلام [5]، وهذه المطالع على قلتها لم يكن نصفـها ولا ربعها بكائيا كما هو الحال عند شعراء صدر الإسلام ، وسبب هذا الفرق نعزوه الـى أنَّ هؤلاء الشعراء الذين صدروا أشعارهم بهذه المطالع البكائية لم يستندوا إلـى أسـاس معين حينما نظموا أشعارهم ، بل كان الأساس في ذلك ما توحيه اليهم عواطفهم ، ومـن أجل ذلك كان هناك اختلاف واضح بين شاعر وآخر [6].

---

(١) يُنظر: أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي: ١٤ .

(٢) هو سليط بن قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر . ابن النجار الأنصاري ، شهد بدراً وما بعدها مـن المشاهد كلها ، وقُتِلَ يوم جسر أبي عبيدة شهيدا . يُنظر: الإستيعاب: ٦٤٦/٢ .

(٣) ديوانه: ٤٢٢ .

(٤) ديوانه: ١٧٥ .

(٥) يُنظر: هذا البحث ص ٣٥١ ، وص ٣٥٦ ، حيث أُحْصِيَتْ المادة الشعرية في العصرين .

(٦) يُنظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ١٩١ .

فمن هذه المطالع البكائية الحزينة ما نجده عند الفرزدق وهو يرثي القائد الفارس الشجاع الجراح بن عبد الله الحكمي ، إذ استهل مرثيته بمطلع بكائي حزين ، فقال [1] :

وَقائِمَةٍ قَامَتْ فَقَالَتْ لِنائِحٍ تَفيضُ بِعَيْنَيهِ الدُّموعُ السَّواجم

أما الشمردل اليربوعي فنراه يستهل مرثية لأخويه قدامة ووائل بمطلع حزين عبر فيه عن حزنه تجاه فقده أخيه ، فقد كان كريم العطاء ، فقال [2]:

اعاذلُ كَمْ مِنْ رَوْعَةٍ قَدْ شَهِدْتُهَا وَغُصَّةُ حُزْنٍ في فِراقِ أَخٍ جَزْلِ

ونجد هذا الحزن والبكاء أيضا في مطلع شعر خالد بن المعارك الذي وصف لنا به ما حل بشهداء يوم الشعب ، فقال [3]:

أَيْنَ حُمَاةُ الحَرْبِ مِنْ مَعْشَرٍ كَانُوا جِمَالِ المِنْبَرِ الحَارِدِ

بَادُوا بِآجَالٍ تَوافَوا لَهَا وَالعَائِرُ المُمْهَلُ كَالبَائِدِ

فَالعينُ تُجْرِي دَمْعَهَا مُسْبِلاً مَا لدُموعِ العَينِ مِن زَائِدِ

ونجده أيضا حزينا على وفاة أسد بن عبد الله الذي وافاه الأجل في خراسان ، وقد أودع حزنه هذا مطلع رثائه له فقال [4]:

نَعَى أَسَدُ بن عبدُ اللهِ نَاعٍ فَرِيْعَ القَلْبُ لِلمَلكِ المُطَاعِ

وبعد هذه الأمثلة للمطالع البكائية الحزينة ننتقل إلى بقية مطالع الموضوعات المتنوعة ، فهذا الفرزدق قد استهل مطلع مرثيته لابن أخيه محمد بالدعاء بالسقيا له، فقال [5] :

سَقَى أَرَيْحَاءَ الغَيْثُ وَهِيَ بَغِيْضَةٌ إِلَيَّ وَلَكِنْ بي لِيُسْقَاهُ هَامُهَا

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٢ .

(٢) شعراء أمويون: ق٥٤٧/٢ .

(٣) تاريخ الطبري: ٢١٥/٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٤٨/٨ .

(٥) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥١/٢ .

وكذلك الأمر نفسه نجده في رثاء سليمان بن قتّة لصديقه أسد بن عبد الله إذ افتتحها بالدعاء بالسقيا له ، فقال [1]:

سَقَى اللهُ سَــهْلَ بَــلْخٍ وَحَزْنَهَــا وَمَرْوَى خُرَاسَانَ السَّحَابَ المُجَمَّمَــا

أمّا ابو صخر الهذلي فيبدأ مطلع مرثيته لابنه داود بأنه قد ترك اللهو وانحاز عنه ، فاصبح لا يحب هذا اللهو ، ولا النساء ، فقال[2]:

تَعَزَّيْتُ عَنْ ذِكرِ الصِّبَى وَالحَبَــائِبِ وَأَصْبَــحْتَ عِزْهَى لِلْصِّبَى كَالْمُجَانِبِ

في حين وجدنا أنّ قسما من الشعراء قد نظموا أشعارهم دون أن يجعلوا لها مطـالع معينة ، فهذا الشمردل يرثي أخاه حكماً ، فمنذ البداءة يُعلن أنه قد استشهد ، والناس تطلـب منه أن يحتسبه في سبيل الله تعالى ، دون ان يجعل لهذا الرثاء أي مقدمة أو مطلـــع بـل دخل إلى غرضه مباشرة ، فقال [3]:

يَقُولُــونَ احْتَسِبْ حَكَمَاً وَراحُــوا بِــأَبْيَضَ لا أَرَاهُ وَلا يَــرَانِـــــي

ونجده أيضا ينظم قصيدة رد بها على الذي فرح وشمت بمقتل اخوته ، فمنذ البداءة

(١) تاريخ الطبري: ٢٤٩/٨ .

(٢) ديوان أشعار الهذليين: ٩١٥/٢ .

(٣) شعراء أمويون: ق٥٥٣/٢ .

وفي أول بيت منها نجده يرد عليه دون أي تمهيد ، فقال [1]:

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَغِي شَتْمِي لاشْتِمَهُ إنْ كانَ أَعْمَى فَإِنِي عَنْكَ غَيرُ عَمِ

وهذا سوادة بن عبد الله السلولي يذكر في أول مرثيته لهبيرة بن المشمرج أنّه قد مات ، وقد ضُمِّنَ في قبره ، فقال [2]:

للهِ قَبرُ هِبيرَةُ بْنُ مُشَمْرَج مَاذا تَضَمَّنَ مِنْ نَدَى وَجَمالِ

هذا أهم ما وُجِدَ من مطالع لشعراء هذا العصر فيما يخص مادة البحث ، ومما تقدم يُمكن القول أن هناك فرقا بين هذه المطالع – أي مطالع شعراء العصر الأموي – ومطالع شعراء صدر الإسلام وقد أوضحنا سبب هذا الفرق .

٣. الخاتمة:

لا يقلُّ شأن الخاتمة عن شأن المطلع وقبله كانت المقدمة ، فهي – الخاتمة – مما ينبغي أَنْ يتأنق الشاعر في نظمها ، حتى تكون أعذب لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأصحَّ معنى [3] لانَّ (خاتمة الكلام أبقى في السمع والصقُ بالنفس ، لِقُرب العهد بها ، فان حسنت حسن ، وَإِنْ قبحت قبح) [4]، " والأعمال بخواتيمها " [5] كما قال رسول الله ﷺ . ولكي تكتمل جودة الختام ويتم معناه لابدَّ أَنْ (يكون مُحْكَماً لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أَنْ يكون الآخر قفلاً عليه) [6] ، فَإِنْ كان غير ذلك (ربما أنسى محاسن ما قبله)[7].

وقد وُجِدَت الخواتيم الشعرية التي تخص موضوع البحث متعددة متنوعة ، فكل واحد منهم ختم شعره بما يريد أَنْ يُفهِمَهُ العقول ويجعله خالداً لا يُنسى .

---

(١) شعراء أمويون: ق٢/٥٥٠ .

(٢) تاريخ الطبري: ٩٦/٨ .

(٣) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٤٢٨/٢ ، لجلال الدين القزويني .

(٤) العمدة: ٢١٧/١ ، ويُنظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ٤٩٣/٢ .

(٥) صحيح البخاري : ٢٣٨١/٥ .

(٦) العمدة: ٢٣٩/١ .

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة: ٤٣٤/٢ .

فقسمٌ من هؤلاء الشعراء ختم قصيدته بموازنة بيَّن فيها مصير حزب المؤمنين وحزب الكافرين ، فالأول في الجنان مُخلد ، والثاني في جهنم ثاوٍ [1]، فقال حسان [2] :

فَإنْ تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحَمْزَةُ فِيهِمُ ... قَتِيلٌ ثَوَى للهِ وَهْوَ مُطِيعُ

فَإنَّ جِنَانَ الخُلْدِ مَنْزِلَهُ بِهَا ... وَأمرُ الَّذِي يَقْضِي الأُمُورَ سَرِيعُ

وَقَتْلاكُمْ في النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ ... حَمِيمٌ مَعَاً في جَوْفِهَا وَضَرِيعُ

وهذه الموازنة العادلة نجد كعب بن مالك قد ختم بها قصيدته التي رثى بها حمزة ﷺ ، فقال [3]:

شَتَّانَ مَنْ هو في جهنَّم ثاوياً ... أبداً ومَن هو في الجِنَانِ مُخلَّدُ

والأمر نفسه وُجِدَ عند الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، إذ ختم مرثيته لحمزة بهذه الموازنة ، التي أكد فيها مصير المؤمنين ، ومصير الكافرين ، فقال: [4]

وَمَا سَيَّانَ مَنْ هُوَ في جَحِيمٍ ... يَكُونُ شَرَابُهُ فيها صَدِيدَا

وَمَنْ هُوَ في الجِنانِ يُدَرُّ فيهَا ... عليهِ الرِّزقُ مُغْتَبِطَاً حَمِيدَا

كذلك ختم قسمٌ منهم قصائدهم بإيضاح فضائل الشهداء الأبرار وغيرهم من الصحابة الكرام ، ففي قصيدة حسان التي رثى بها شهداء مؤتة نراه يختمها ببيان فضلهم ، فهم أولياء الله تعالى ، عليهم أُنزل حكمه وكتابه . لانهم من حيٍّ كريم عزيز جامع لكل خير قد جمع النبي ﷺ ، وآل بيته الأطيار ، فمنهم علي بن أبي طالب وأخوه عقيل بن أبي طالب [5] "رضي الله عنهما" ، ومنهم أعمام المصطفى ﷺ الحمزة والعباس "رضي الله عنهما" ، فقال [6] :

هُم أولياء الله أنْزَلَ حُكْمَهُ ... عَلَيْهِم ، وفيهم والكتابُ المُطَهَّرُ

---

(١) يُنظر: أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي: ٢٣ .

(٢) ديوانه: ٣٣٧ – ٣٣٨ .

(٣) ديوانه: ١٦١ .

(٤) الزهرة ، النصف الثاني: ٤٠ للاصفهاني ، تحقيق د.ابراهيم السامرائي د. نوري القيسي ، ديوانه: ٧١ .

(٥) يُنظر: الإستيعاب: ١٠٧٨/٣ .

(٦) ديوانه: ٩٨ – ٩٩ .

بهاليلُ [1] منهم جعفرٌ وابن أُمـــهِ عَليٌ وَمِنْهُـــمْ أحْمَـــدُ المُتخـــيَّرُ
وَحَمْزَةُ وَالعَبَّاسُ مِنهُم وَمِنهـــمُ عَقيلٌ ، وَماءُ العُود مِنْ حيثُ يُعْصَـــرُ

والأمر نفسه نجده عند كعب بن مالك إذ أثبت في ختام قصيدته التي رثاهم بها أنهم بهديهم رضي الله لخلقه ، وبقتالهم وجهادهم نُصِرَ النبي ﷺ فقال [2]:

وَبِهَدِيهِـــم رَضِيَ الإلـــهُ لخَلقِـــه وبِجـــدِّهـــم نُصـــر النبيُّ المرســـل

وهذا الإمام علي ﷺ ينهي قصيدته التي رثى بها شهداء المسلمين يوم أُحد بصـــدق هؤلاء الأبرار على ما عاهدوا الرسول الكريم ﷺ عليه من جهاد أعداء الإســـلام ، ومـــن هؤلاء حمزة ومصعب بن عمير [3] ﷺ الذي كـــان كحمـــزة أسـداً مغـــواراً ، فشـــهداء المسلمين ليسوا كقتلى الكافرين الذيـــن أدخلهم الله تعالى نار جهنم ، فقال: [4]

قَوْمٌ وَفَّـــوا عَهْدَ الرَّسُول وَاحْتَسَبُوا شُمَّ العَرَانِين مِنْهُم حَمْزَة الأَسَدُ
وَمُصْعَبٌ كانَ لَيْثاً دُونَـــه حِـــرداً حَتَّى تَرَمَّلَ مِنْهُ ثَعْـــلَب جَسَـــدُ
لَيْسُوا كَقَتْلَى مِنْ الكُفَّـــارِ أَدْخَلَهُمْ نـــارَ الجَحِيمِ عَلى أَبوابِها الرُّصَدُ

ونعود إلى حسان الذي ختم مرثيته لجعفر بن أبي طالب ﷺ ، بأنه يُعد مـــن خـــير الناس بعد النبي ﷺ ، فقال[5] :

عالخَيْرِ ، بَعْـــدَ مُحمَّـــدٍ لا شِـــبْهُهُ بَشَرٌ يُعَـــدُّ مِنَ البريَّـــةِ جُلَّهـــا

ولم ينس كعب بن مالك جهاد حمزة واستشهاده في سبيل الله تعالى ، إذ أوضح فـــي ختام مرثيته له أنه كان يريد بذلك مرضاة رسول الله ﷺ التي توجب له مرضاة رب

---

(١) بهاليل: جمع بهلول وهو الخير الكريم والسيد جامع لكل خير . يُنظر: اللسان : ١/٣٧٥ (بهل) .

(٢) ديوانه: ٢٠٦ .

(٣) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .. يكنى ابا عبد الله ، كان من جلة الصحابة وفضلائهم وهو من أوائـــل المهاجرين إلى أرض الحبشة ، شهد بدراً ثم أُحداً التي قُتِلَ فيها شهيدا . ينظر: الاستيعاب: ١٤٧٣/٤ – ١٤٧٥ .

(٤) ديوانه: ٦٣ .

(٥) ديوانه: ٣٢٣ .

العرش العظيم ، فقال [1]:

يُرِيـــدُ بِـذَاكَ رِضَـــــا أَحْمَـــد وَرِضْوَان ذِي العَـرْشِ والعِـــــزَة

وقريبا من هذا المعنى نجده في قصيدته التي أنشدها يوم خيبر التي قد رسم فيـــها صورة المجاهدين وهم يتقدمون صفوف القتال بكل جرأة باحثين عن الشهادة في سـبيل الله تعالى ، لأنها أصبحت مدحاً يتمادحون به ، وفي ختامها أوضح لنا أنَّ الشهيد الذي كـــان يتقدم الصفوف ويقاتل الأعداء ، إنما هو مؤمن بالغيب ، مخلصا علمه هذا لله تعالى ، لأنه يُريد الفوز بجنات الخلد يوم القيامة ، فقال [2]:

يُصدِّقُ بالانباءِ بالغيـــب مُخلصـــاً يُريـــد بذاك الفـــوز والعزَّ في غَدِ

كما وجدنا أنَّ بعض الشعراء استغل الخاتمة ليُعلِنَ فيها إيمانه الصادق ، ونجد هـذا واضحاً في قصيدة حسان التي رثى بها سعد بن معاذ وغيره من شهداء المسلمين الذيـــن تذكرهم وتذكر وفاءهم ، حتى إذا وصل إلى نهايتها أعلن أنَّ الملك لله تعالى وحـده ، وأنَّ قضاءَهُ تعـــالى إذا ما أمر به فلابُد من وقوعه ، فقال[3]:

ونَعـــلمُ أنَّ المُلكَ للهِ وحـــدَهُ وأن قضاء الله لابُـــدَّ واقِـــعُ

وفي بعض القصائد نجد أنَّ خواتيمها قد سُخِّرت لبيان شجاعة الشهداء الأبرار كمـا هو الحال عند حسان بن ثابت الذي أثبت في ختام قصيدته التي رثى بها حمزة ، شـجاعته وما فعله بالمشركين ، إذ قتلهم ومزقهم يوم بدر الكبرى ، ويُسانده وزيره جـــبريل عليه السلام ، فقال[4]:

أَرْدَاهُـــمُ حَمـــزةُ في أُسْـــــرَةٍ يَمشُـــونَ تَحْـــتَ الحَلَـــقِ الذَّائِـــل

(١) ديوانه: ١٧٥ .

(٢) ديوانه: ١٦٤ .

(٣) ديوانه: ٢٦٧ .

(٤) ديوانه : ٣٢٢ .

غـــداةَ جِـــبريلُ وزيـــرٌ لَـــــهُ نِعْـــمَ وزيـــرُ الفـــارسِ الحـــــامِلِ

أمَّا خُبيب بن عدي ﷺ فاثبت بنفسه شجاعته حين عزموا على قتله فلم يثنِ ذلك من إيمانه وعزيمته بالله تعالى شيئاً ، فقال خاتما قصيدته التي أطلقها قبل أن يُودع الحياة [1]:

فلستُ بِمُبـــدٍ للعـــدوِّ تخشُّـــعاً ولا جَزَعـــــاً إنِي إلى اللهِ مَرجعـــــي

وقبل قتله ﷺ وهو مرفوعٌ على الخشبة التي قتلوه عليها ، كان قـــد دعـــا عليـــهم بالهـــلاك ، فقال: (اللهم أحصِهم عـــدداً واقتلهم بـــدداً ، ولا تُغادر منهم احداً) [2]، فكان هذا الدعاء ختاماً لقصيدة حسان التي رثى بها خبيب بن عدي ، إذ أوضح في ختامـــها أنَّ القبيلة التي غدرت به قد أُحصيت وأُفنيت ، وهو دعاء خُبيب عليها فحق هذا الدعاء ولـــم يخب ، فقال حسان [3]:

تِلكُـــمْ قبيلـــةٌ حُصَّتْ وَقَلَّلَهـــا دَعـــوى خُبيبٍ التي حَقَّـــتْ ولم تخِبِ

والأمر نفسه نجده في قصيدة كعب بن مالك التي ردَّ بها على ضرار بن الخطـــاب يوم الخندق الذي فخر بقتل سعد بن معاذ ، فكان من جملة ما رد به عليـــه أنَّ ســـعداً لـــم يضره شيئاً بل هو شهيد سعيد فاز بجنات ربه الواسعة ، وفي ختامها أوضـــح لـــه أنـــهم خزايا لم ينالوا شيئا لأنَّ الله تعالى قد هزم جمعهم بريح عاصف هبـــت عليـــهم ، وهـــذا الهلاك الذي أصابهم هو استجابة الله لدعاء سعد الذي دعا الله تعالى أنْ يهلكـــهم ويُفـــرق جمعهم [4]، فقال كعب [5] :

خَزَايَا لَمْ تَنَالُـــــوْا ثُمَّ خَـــيْرَاً وَكِدْتُـــمْ أنْ تَكُونُـــوا دَامِرِينَـــا

بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَـــتْ عَلَيْكُـــمْ فَكُنْتُـــمْ تَحْتَـــهَا مُتكمِّهِينَـــا

ومرَّ بنا قبل قليل ونحن نتحدث عن المطلع – وقد وجدنا حينها – أنَّ بعضهم قـــد استهل مطلع قصيدته هاجياً مَن قتل شهداء المسلمين ، وهذا الهجاء نجـــده أيضـــا ختامـــاً

---

(١) السيرة النبوية: ١٨٦/٣ ، الإستيعاب: ٤٤١/٢ ، أُسد الغابة: ١٢٢/٢ ، نهاية الارب: ١٣٦/١٧ ، البداية والنهاية: ٦٧/٤ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين: ٧٥ ، حياة الصحابة: ٥٤٢/١ .

(٢) السيرة النبوية: ١٨٢/٣ .

(٣) ديوانه: ٣٧٠ .

(٤) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٣٨/٣ .

(٥) ديوانه: ٢١٦ .

لقصائدهم ، حتى يؤكدوا في أسماع المسلمين الجرمَ العظيم الذي اقترفه هؤلاء القتلة . ونجد هذا الهجاء نهايةً لمرثية حسان التي رثى بها خبيب بن عدي ، فبين أنَّ ما فعله قتلة خبيب لا يستحق الفخر أبداً ، بل يستحق الهجاء والتنديد ، لأنَّ عملهم غدرٌ وخيانة ، فقال [1]:

لا تذكُرَنَّ إذا ما كُنتَ مُفتَخِراً أبا كُثَيبَةَ ، قد أسرفت في الحُمُقِ

ولا عزيزاً فإنَّ الغدر مَنْقَصَةٌ إنَّ عزيزاً دقيقُ النَّفْسِ والخُلُقِ

في حين نجد أنَّ أبا محجن الثقفي في قصيدته التي رثى بها أبا عبيدة ومن معه من شهداء المسلمين الذين استشهدوا في معركة الجسر أو الطف ، لا يختمها بهجاء قاتلي هؤلاء الشهداء الأبرار ، بل نجده يهجو من لم يفرح بمرجعه سالماً من هذه المعركة بل تمنوا قتله فيها ، فدعا عليهم أنْ يطردهم الله تعالى من رحمته ، لأنهم لا يعلمون ما يعلمه الله تعالى ، لأنه تعالى له حكمة في بقائه سالما دون غيره . فقال [2] :

ألا لَعَنَ اللهُ الذين يَسُرُّهُم رَدايَ وما يَدْرُونَ ما اللهُ فاعِلُ

أما عاتكة بنت زيد بن نُفيل فقد ختمت مرثيتها لزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بالبكاء عليه ، فقالت [3]:

أبكي أمير المؤمنين ودونه للزّائرينَ صفائحٌ وصعيدُ

وقسمٌ آخر من هذه الخواتيم انتهى بالحزن دون بكاء ، فحسان بن ثابت نراه في مرثيته التي رثى بها شهداء مؤتة يُبين لنا في ختامها أنه ما أن جاءهُ نبأ استشهادهم بات حزينا لا يعرف للسرور معنى ، فيقول [4] :

قد اتانا مِن قتلِهِم مَا كفانا فَبِحُزنٍ نبيتُ غَيْرَ سُرورِ

---

(١) ديوانه: ٢١٣ .

(٢) ديوانه: ٣٤ .

(٣) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٨ .

(٤) ديوانه: ٢٩٥ .

ومهما يكن من اختلاف في شأن هذه الخواتيم فإن هؤلاء الشهداء الأبرار يستحقون الرحمة والمغفرة والجزاء الحسن ، لذلك نجد حسان بن ثابت قد ختم قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب ﷺ بالدعاء له ، وأن يجزيه الله تعالى خيراً . فقال [1]:

أقولُ وَقَدْ أعلى النعيُّ بُمُلكِهِ جزى اللهُ خيراً من أَخٍ وَنَصِيرِ

كما أنهى قسم من شعراء المسلمين أشعارهم بالقسم (توكيداً لما ينقلون ويعلنون للناس ، ... ، وحتى لا يكون أدنى مجال للشك في نفوس السامعين) [2] عما يسمعوه ، فعندما استشهد سليمان بن خالد بن الوليد "رضي الله عنهما " ، رثاه صديقه عمار بن ياسر ﷺ بأشعار أبدى فيها حزنه ، وَخَلَّد فيها شجاعته ، وفي ختامها أقسم بالله الذي أعطاهم النصر في كل وادٍ أنْ يأخذ بثأر هذا الفارس الشهيد ، من جميع الكافرين جهراً ، ويطفي بذلك لهيب قلبه المشتعل عليه ، فقال [3]:

وحقِّ مَنْ أعْطَى لَنَا نَصْرَهُ في كُلِّ وادٍ ثُمَّ فَتْحَاً قَرِيبِ

لنأخذنَّ الثأر من جمعهم جَهْرَاً ونُطفي من فؤادٍ لَهِيبِ

وعندما وصل خبر استشهاده الى أبيه سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﷺ قال: (والله لأخذن فيه ألف سيد من ساداتهم ولاقطعنَّ ساداتهم وفرسانهم وَإِنِّي أرجو أَنْ آخذ بثأره إنْ شاء الله تعالى) [4]، فأنشد قصيدة بكى فيها على هذا الشبل الشجاع ، وخلد فيها بطولته،وفي ختامها تأسف لمصرعه ، وتمنى أن يكون حاضراً مع ابنه لكان قد قتلهم وبدد جمعهم ، ثم بيَّن لنا قسمه الذي ذكره آنفاً ، فقال [5]:

فَوا أسفاً لو أنني كُنت حاضراً بِأَبْيَضَ مَاضِي الحَدِ في الحَرْبِ مُكْتَمَلْ

لاقتل مِنْهُمْ في الوَغَى الفُ سَيِّد وإذا سَلَّمَ الرحمنُ واتسعَ الأَجَلْ

---

(١) ديوانه: ١٣٤ ، وتنسب الى صفية ، يُنظر: معجم ديوان أشعار نساء: ١٠٥ .

(٢) الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي: ٣٣٥ ، د. عفيف عبد الرحمن .

(٣) فتوح الشام: ٢/٢٦٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٢/ ٢٦٦ .

(٥) المصدر نفسه .

والأمر نفسه نجده أيضا عند همام بن جرير الذي رثى الشهداء الذين استشهدوا في إحدى معارك المسلمين في فتوح الشام ، إذ أقسم في ختام مرثيته أن يأخذ الثأر من الأعداء بطعنة رمح ، وضربة سيف ، وقد استعمل اللام الموطئة للقسم وأكّدَ الفعل المضارع بنون التوكيد الثقيلة ، فقال [1] :

لَنَأخذنَّ الثأر يا قَوْمَنَا بِطَعْنِ خُطَى وَحَدِ الحُسَام

فبالرغم من وجود هذه الخواتيم الشعرية المتنوعة في أشعارهم التي تجلى في قسم منها أثر الاسلام ، إلا أنّه وُجِدَ أيضاً أنَّ قسماً من هذه الأشعار لم تنته بمعنى يَحْسُن السكوت عليه ، بل بدت كأنها تحتاج إلى بقية [2].

أمَّا شعراء العصر الأموي فهم أيضا اهتموا بخواتيم أشعارهم التي تنوعت بتنوع ثقافتهم ، وما يبغونه من خلال هذه الخواتيم . فقسم منها خُتم بالحزن والبكاء .

والأمر نفسه نجده في ختام مرثية سوادة بن عبد الله السلولي التي رثى بها هُبيرة بن مُشمرج الكلابي ، إذ بين في ختامها بكاء الخيول التي يركبها ويغزو بها عليه ، وكذلك بكته الرماح التي كان يستخدمها ويطاعن بها الأعداء ، وكذلك تألمت كل النساء الفقيرات لفقده [3]. فقال [4]:

---

(١) فتوح الشام : ٢/ ٢٨٤ .

(٢) يُنظر: ديوان حسان: ١٧٩ .

(٣) يُنظر: الشعر العربي بخراسان في العصر الاموي: ٢٢٥ .

(٤) تاريخ الطبري: ٨/١٠١ .

بَكَتْ الجيادُ الصافناتُ لِفَقْـدِهِ وَبُكَـاءِ كُـلِّ مُثقَّـفٍ عَسَّـالِ
وبكته شُعْثٌ لم يجدن مُؤاسِـيا في العالم ذي السَّـنَوَات والاءِ محـالِ

وقريبا من معنى هذه الخاتمة نجده في نهاية مرثية الفرزدق التي رثى بها الجـراح بن عبد الله الحكمي ، حيث يقول [1]:

فَلَوْ تَعْلَمْ الأنعـامُ شيئاً بَكَيْنَـهُ وَكـانَ عَلى الجرَّاحِ تَبْكِي البَهائِـمُ

ووجدنا أيضا أنَّ قسماً من الشعراء أكدوا في خواتيم أشعارهم ما اتصف به الشهداء من سجايا وخصال عُرفوا بها في حياتهم ، فهذا أبو الجويرية عيسى بن عصمـة يُنـهي مرثيته للجنيد بن عبد الرحمن المري بتأكيد كرمه الذي مات مع موته ، فقال [2]:

كُنتما نُزهة الكـرامِ فلمّـا مُتَّ مَـاتَ النَّدَى وَمَاتَ الكِـرامُ

كما أثبتوا صفة الشجاعة في خواتيم أشعارهم ، فهذا الشمردل يختم مرثيته لأخويـه قدامة ووائل ، بتأكيد شجاعتهما التي شبهها بشجاعة الأسد الذي يذود عن مأواه فقال [3]:

كَمُسْتَأسَدَى عرِّيـةٍ لهمـا بها حميٍّ هابه مَن بالحزُونَـةِ والسَّـهلِ

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٨ .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٩/٨ .

(٣) شعراء أمويون: ق٥٤٨/٢ .

ونجد خالد بن عقبة متأثرا بهذا المعنى وخاصة في آخر مرثيته لسعيد بن عثمان بن عفان "رضي الله عنهما" ، فيقول إن كانت الأيام قد أخذت سعيدا ، فانه لا ينجو من أخذها أحد ، فقال [1] :

فإن تكن الايام أردت صروفها سعيدا ، فهل حي من الناس سالم

أما أبو صخر الهذلي فيختتم مرثيته لابنه بعزمه على مواصلة قتال الأعداء مع المسلمين لأنه يبغي ثواب الله وجزاءه تعالى ، فقال [2]:

ولما أطاعن في العدو تنقلا إلى الله أبغي فضله وأضارب
وأعطف وراء المسلمين بشدة على دبر مجل من العيش ذاهب

هذا أهم ما وجد من خواتيم لإشعار شعراء هذا العصر فيما يتعلق بخصوص موضوع البحث وهي – أي الخواتيم – كما قلنا قد تنوعت ، وهذا التنوع كان من قبل الشعراء وقصدهم من وراء هذه الخواتيم وما يرمون إليه . فقسم منهم كما مر بنا أراد إثارة الحزن ، وقسم آخر إعلام السامعين بحكمة تذكرهم بمصيرهم المحتوم ، وأخر وثق سجايا الشهداء وما اتصفوا به .

(١) تاريخ ابن عساكر: ١٥٦/٦ ، وينظر: شعر الدعوة الإسلامية في العصر الاموي: ٢٣٠ .

(٢) شرح أشعار الهذليين: ٩٢٣/٢ .

المبحث الثاني
المعجم الشعري الإسلامي

عرف العرب الشعر منذ القدم ، فبرعوا في نظمه ، وفي إلقائه ، وفي حفظه وروايته ، فكان لكل قبيلة شاعر يمدح رجالها ، ويهجو أعداءها ، فكان الوسيلة الإعلامية في ذلك العصر ، وعندما جاء الإسلام وظف هذا الفن لخدمته ، به دافع الشعراء المسلمون عن الإسلام والمسلمين ، وبه نشروا تعاليم الدين العظيم ، وهذا الفن وهذا السلاح (الشعر) متعدد الأغراض ، ولكل غرض منه ما يلائمه من الألفاظ التي تكون ذات (صلة وثيقة بالحالة الشعورية التي تنتاب الشاعر أثناء نظمه للقصيدة) [1] ، (فإذا أراد الشاعر بناء القصيدة مَخَّضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه) [2] . فلكل معنى لفظ يليق به [3] ، تنهض موسيقاه لمحاكاة المعنى الذي ترمي إليه النفس [4] ، فالشاعر يختار لمعانيه ألفاظاً حسنة لأن المعاني متداولة بين الناس [5] .

فالشعر الذي وصف لنا حب المجاهدين لطعم الشهادة والسعي للفوز بها ، وشجاعتهم في مواجهة أعدائهم ، والمنزلة التي نالوها عند الله تعالى عندما أسكنهم فسيح جناته الواسعة ، والذكر الحسن الذي نالوه على ألسن الشعراء المسلمين الذين خلدوهم بأحسن الأشعار ، هو شعر ملتزم بمنهج الدعوة الإسلامية ، واكب حروبها وفتوحاتها وهو يؤدي دوره باحسن الألفاظ الموحية بالمعنى المراد ، وليس غريباً أنْ يبدع الشعراء في هذا المجال بعد أنْ تأثر هؤلاء الشعراء ببلاغة القران الكريم ، وفصاحته ، ووضوح

---

(١) شعر العقيدة: ٣١٦ .

(٢) عيار الشعر: ٥ .

(٣) ينظر: دلالة الالفاظ: ٦٢ ، ابراهيم أنيس .

(٤) ينظر: الشعر والشعراء. ٤٦/١ – ٤٧ ، والخصائص: ٢١٥/١ وما بعدها ، لابي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق ، محمد علي النجار .

(٥) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٦٠ ، ترجمة د. كمال محمد بشر ، واللغة والفكر: ١٤٦ و ١٥٢ ، د. نوري حمودي القيسي ، الرمز عند الشعراء العرب قبل الإسلام : ٢٧٩ د. عبد الإله الصائغ .

طريقته ، وسهولة ألفاظه [١] ، فكان القران الكريم والحديث النبوي الشريف رافدين مهمين أثريا ثقافة الشاعر الإسلامي بكثير من الألفاظ والمصطلحات الإسلامية التي اكتسبت معاني جديدة غير التي كانت سائدة في كلام العرب قبل الإسلام[٢] ، فالعرب كانت في (جاهليتها على إرث من إرث آبائهم ، في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم . فلما جاء الله "جل ثناؤه" بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الأول) [٣] ، فمن الألفاظ التي وردت بمعناها الجديد في أشعار شعراء الإسلام الشهادة والشهيد ، فكما تبين سابقاً فإنَّ العرب قبل الإسلام ما عرفوا الشهيد إلاَّ بمعناه اللغوي الذي يدور حول الحضور أو العلم أو الشهادة ، أما في الإسلام فإنَّ الشهادة أصبحت هم المجاهد المسلم وغايته في حياته الدنيا ، يستهين بالموت ويراه مدحاً إنْ أصاب الشهادة ، قال كعب [٤]:

يَرَى الْقَتْلَ مدحاً إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِن اللهِ يَرْجُوهَا وَفَوزاً بِأَحْمَدِ

فإذا ما سقط شهيداً وفاز بها تسابق شعراء المسلمين إلى تأكيد شهادته وتوثيقها في سجل الشهداء ، فمن ذلك رثاء الإمام علي ﷺ لحمزة بن عبد المطلب ﷺ ، وهو يؤدي دوره في الرد على هند بنت عتبة ، قال [٥]:

فَإِنْ تَفْخَرِي يَا هِنْدُ بِحَمْزَةَ حِينَ وَلَّى مَعَ الشهداءِ مُحتسباً شَهِيدَا

فكانت شهادة الأبناء مفخرة الآباء لأنها منزلة عظيمة لهم يوم القيامة ، فهذا أحد المسلمين استشهد ابناه في فتوحات المسلمين الخارجية ، فلما بلغه خبرهما فرح بذلك ،

---

(١) ينظر: في الشعر الإسلامي والاموي: ٢٨ .

(٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢٩٤/١ – ٢٩٥ ، للسيوطي ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، وينظر: رثاء شهداء مؤتة في الشعر الإسلامي: ٤٧ ، د. رشدي علي حسن .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٧٨ ، تحقيق مصطفى الشويمي .

(٤) ديوان كعب بن مالك: ١٦٤ ، وينظر: مثله ديوان حسان: ١٣٣ .

(٥) ديوانه: ٧١ ، وينظر: مثله فتوح الشام: ٢٨٤/٢ ، وديوان حسان: ٩٨ و ٢١٣ و ٣٢١ و ٤١٢ و ٤١٥ .

لان شهادتهما شرفاً لهما وله يوم القيامة ، فقال [1]:

خَلِيلَيَّ وابنيَّ اللَّذَيْنِ تَتابَعَا ... شَهِيدَينِ كَانَا عِصْمَتِي وَرَجَائِيَا

وَمَنْ يُعْطِهِ اللهُ الشَّهادةَ يُعْطِهِ ... بِها شَرَفاً يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِيَا

كما وردت في أشعارهم ألفاظ الثواب والعقاب مؤكدين بها صدق منهجهم الذي يقاتلون ويقتلون من أجله وأنهم على حق ، وأعداءهم في ضلال مبين ، فأكثروا من ذكر الجنة ، فهي منزلة الشهداء ، ودارهم التي أسكنهم الله تعالى فيها ، لأنّه تعالى وعدهم بها ، فوصفوها ووصفوا نعيمها الذي فيها ، فهي جنة عالية [2]، خالدين فيها [3]، مع الحور العين [4]، والنعيم المقيم[5]، وهي أمل المجاهدين الذين يقاتلون من أجلها ، وألسنتهم تتعطر بذكرها وذكر نعيمها[6] . فهذه الجنان هي حق الشهداء الذين سيدخلونها بإذن الله تعالى فرحين بها[7] ، أما قتلى الكافرين فإنّ مصيرهم إلى نار جهنم ثاوين فيها [8]، حيث العذاب المخلد ، جزاء منه تعالى للكافرين لأنّهم صدوا عن دين الإسلام .

كذلك فإنّ شعراء المسلمين أكثروا من ذكر لفظ الجلالة (الله) "تبارك وتعالى" فهو خالق الكون ومدبر الأمور ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، فأثبتوا هذه القدرة وهذه الملكية له "تبارك وتعالى" وهم يذكرون اسمه العظيم ، فإليه نسبوا كل

---

(١) التعازي والمراثي: ٢٤١ – التعازي: ١٨/١ – ١٩ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية: ٢٥/٣ ، والروض الآنف: ٥/ ٣٣٠ ، والبداية والنهاية: ٣٣٧/٣ ، وشعراء الرسول: ٢٦٣ ، وديوان حسان: ٣٢١ .

(٣) ينظر: ديوان حسان: ٢١٣ – ٣٣٨ – ٤١٥ ، وينظر: ديوان كعب مالك: ١٦١ .

(٤) ينظر: السيرة النبوية: ٢٥/٣ ، والروض الآنف: ٣٣٠/٥ ، والبداية والنهاية: ٣٣٧/٣ ، وشعراء الرسول: ٢٦٣ ، وديوان حسان: ٢١٣ .

(٥) ينظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ ، وديوان حسان: ٩٨ ، وديوان كعب بن مالك: ١٥٧-١٥٨ .

(٦) ينظر: فتوح الشام: ١٥٧/١ – ١٨٨ – ١٩٤ – ٢٦٩ ، ٢٤/٢ – ١٤٦ – ٢٢٥ ، والكامل في التاريخ: ٢٣٦/٢ ، وغاية الأرب: ٢٨٠/١٧، وسير أعلام النبلاء: ٢١٠/١ ، وتاريخ الإسلام (المغازي) : ٤٨٣ ، والبداية والنهاية: ٢٤٤/٤ ، وحياة الصحابة: ٥٥١/١ .

(٧) ينظر: ديوان كعب بن مالك: ١٥٨ – ٢٠١ – ٢١٦ ، ومعجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٨) ينظر: ديوان الإمام علي: ٦٣ ، وديوان كعب بن مالك: ١٥٨ – ١٦١ .

شيء ، فهو الذي يقضي ويحكم ويأمر ، وفي سبيله قَاتَلُوا وَقُتِلُوا ، فقالوا: الملك لله وحده [1] ، حكم الله [2]، قضاء الله [3] ، لأمر الله ، إلى الله ، في الله[4]، مع الله ، ثوى لله [5]، في طاعة الله[6]، ويعز الله [7]، ونمة الله [8] ، إنَّ لله [9] ، فلله عين [10] ، يد الله [11] ، الله أكبر [12] ، ذات الإله [13] ، عصم الإله [14] ، إله العرش [15] ، ذو العرش [16] ، كما ورد في أشعارهم بعض أسماء الله الحسنى ، منها الرحمن [17] ، كذلك أثبت شعراء المسلمين في أشعارهم رسالة المصطفىﷺ وأنَّه رسول الله ونبيه ، وأثبتوا ذلك بألفاظ كثيرة منها إمام رسول الله [18] ، قال رسول

---

(١) ينظر: ديوان حسان: ٢٦٧ .

(٢) ينظر: فتوح الشام: ٢٦٦/٢ ، وديوان حسان: ٤١٥ .

(٣) ينظر: ديوان حسان: ٢٦٧ – ٤١٥ .

(٤) ينظر: السيرة النبوية : ١٨٥/٣ – ١٨٦ ، والإستيعاب: ٤٤١/٢ ، أسد الغابة: ١٢٢/٢ ، وينظر: نهاية الأرب: ١٣٦/١٧ ، والبداية والنهاية: ٦٧/٤ ، وديوان حسان: ٢٦٧ و ٤١٥ .

(٥) ينظر: ديوان حسان: ٣٣٧ .

(٦) ينظر: السيرة النبوية: ١٧٧/٣ ، والروض الانف: ١٣١/٦ ، وعيون الأثر: ٤٩/١ ، والبداية والنهاية:٦٠/٤ ، وديوان حسان: ٢٦٧ .

(٧) ينظر: ديوان حسان ٣٣٧ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٠ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٢ .

(١٠) ينظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١١٨ .

(١١) ينظر: ديوان حسان: ٣٢١ ، وديوان الشماخ بن ضرار: ٤٤٨ .

(١٢) ينظر: ديوان حسان: ٩٦ .

(١٣) ينظر: السيرة النبوية : ١٨٥/٣ ، والإستيعاب: ٤٤١/٢ ، وأسد الغابة: ١٢٢/٢ ، ونهاية الأرب: ١٣٦/١٧ ، والبداية والنهاية: ٦٧/٤ .

(١٤) ينظر: ديوان كعب بن مالك: ٢٠٦ .

(١٥) ينظر: فتوح الشام: ٢٦٨/١ .

(١٦) ينظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(١٧) ينظر: السيرة النبوية: ٢٥/٣ ، ديوان حسان: ٤١٥ ، وينظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٨٨ ، وفتوح الشام: ٢٦٧/٢ و ٣٠١ .

(١٨) ينظر: ديوان حسان: ٣٣٧ .

الله [١] ، أرسل أحمد [٢] ، نُصر النبي المرسل [٣] ، النبي محمد ، نبي الهدى المبعوث [٤] ، نبياً كريما [٥] ، نصروا النبي [٦] ، دين المصطفى العدنان [٧] ، كما أوردوا في أشعارهم ألفاظ الإسلام والمسلمين [٨] ، إقراراً منهم بأنَّه خير دين ارتضاه الله لهم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسلام ﴾ [٩] ، ومثلما أثرت العقيدة الصحيحة في أفعالهم ، فرأيناهم يجاهدون الأعداء ويقتحمون البلاد لا حُباً في مغنم أو مكسب ، بل حباً في الشهادة والفوز برضا الله تعالى ، فقد كان لها تأثيرها في أشعارهم التي أنشدوها وهم يُقاتلون الأعداء ، وأنشدوها وهم يرثون شهداء المسلمين ، مؤكدين بها صدق هذه العقيدة التي استقرت في عقيدتهم وجعلتهم يَصدعون في أشعارهم بألفاظ العقيدة بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والكفر ، والتوحيد والشرك ، فهذا عاصم بن ثابت مؤمن مجاهد اختار الموت في سبيل الله تعالى على الحياة في جوار المشركين ، وهذا الاختيار جاء من أثر العقيدة التي لا تقبل المساومة ، بل يكون صاحبها حاسماً شجاعاً ، فاختار الحق (الموت) وترك ونبذ الباطل (الحياة) ، فقال [١٠] :

تَزِلُ عَنْ صَفْحَتِهَا المَعَابِلُ ... الموتُ حَقٌّ وَالحَيَاةُ بَاطِلُ

ومن ألفاظ العقيدة الأخرى التي أوردها الشعراء المسلمون في أشعارهم التي أثبتوا فيها صحة منهجهم وبُطلان منهج أعدائهم،ألفاظ المؤمنين[١١] ، ومؤمن[١٢] وإيمانا . أما ما

---

(١) يُنظر: ديوان كعب بن مالك: ١٨٢ ، ووردت عبادة (رسول الله) أيضا في أشعارهم ، يُنظر: ديوان حسان: ٥١٣ ، وديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ .

(٢) يُنظر: فتوح الشام: ٢/٢٤٤ .

(٣) يُنظر: ديوان كعب بن مالك: ٢٠٦ .

(٤) يُنظر: فتوح الشام ٢/٢٥٢ .

(٥) يُنظر: المصدر نفسه .

(٦) يُنظر: ديوان كعب بن مالك ١٦٠ و ٢٠٦

(٧) يُنظر: فتوح الشام: ٢/٢٢٦ .

(٨) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ ، وديوان حسان: ٩٨ و ١٣٤ و ٣٢١ ، وديوان كعب بن مالك: ٢٠٥ .

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(١٠) السيرة النبوية: ٣/١٧٩ ، الروض الانف: ٦/١٦٤ ، البداية والنهاية: ٤/٦٤ ، حياة الصحابة: ١/٥٣٨ .

(١١) يُنظر: ديوان حسان: ٩٨ ، وديوان كعب بن مالك: ١٦١ .

(١٢) يُنظر: السيرة النبوية: ٣/١٧٩ ، والروض الأنف ٦/١٦٤ ، البداية والنهاية ٤/٦٤ .

يخص أعداءهم فإن شعراء المسلمين نعتوهم كما وصفهم الله تعالى بالكفر والطغيان[1] ، وكافر ناقص الإيمان[2] ، فأصحاب المصطفى ﷺ كانوا موحدين الله تعالى في عبادتهم له ، لا يشركون به شيئا لان الشرك بالله تعالى أمر عظيم وذنب كبير يحبط الاعمال ، فرب العزة والجلال يُخاطب رسوله الكريم ﷺ كما خاطب الرسل والانبياء من قبله أنَّه إنْ أشرك سوف يُحبط عمله ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3] ، وحاشاه ﷺ من الشرك ، بل كان أخلص الناس عبادة لله تعالى ، بلغَّ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة ، فسار الصحابة الكرام على نهجه القويم في توحيد الله تعالى.

أمَّا أعداء الإسلام الكافرين فقد كانوا مشركين بالله تعالى يعبدون ما لا ينفعهم ولا يضرهم شيئاً ، كما ورد لفظ القرآن الكريم وألفاظ أخرى عبرَّت عنه في أشعارهم ، فمما ورد من هذه الألفاظ ، ما نجده في رثاء حفصة بنت عمر بن الخطاب "رضي الله عنهما" إذ صبرت وتعزت بالقران الكريم فقالت[4] :

أُكْظِمُ الغُلة المخالطةِ القلبِ وَأعزِّي وفي القُـــرآن عزائي

ومن الألفاظ الأخرى التي عبرت عن مصطلح القران الكريم لفظ الكتاب فقد أصبح (اسم علم للقران الكريم سواء قُرِنَ بلفظ الجلالة أو استعمل وحده)[5] ، فهو الكتاب المطهر في رثاء حسان لشهداء مؤتة [6] :

هُـمُ أَوْلِياءُ الله أَنْزَلَ حُكْمَـهُ عَلَيْهِمْ وَفِيْهِمْ وَالكِتَابُ المُطَهَّرُ

(١) يُنظر: فتوح الشام: ٢/٢٢٦ .

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢/٢٢٣ ، ويُنظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٣) سورة الزمر: الاية ٦٥ .

(٤) معجم ديوان أشعار النساء: ٨١ .

(٥) أثر القران في الادب العربي في القرن الاول الهجري: ١٩ ، د. ابتسام مرهون الصفار .

(٦) ديوانه: ٩٨ .

وهو الكتاب المنزل في شعر كعب بن مالك [1]:

قَـــوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الإلهِ عِبَـــادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَـــزَلَ الكِتَـــابُ المُنْـــزل

ومثلما آمنوا بكتاب الله العظيم وذكروه في أشعارهم ، آمنوا بالملائكة وذكروهـــا في أشعارهم ، فهي الملائكة الأبرار في شعر حسان بن ثابت وهو يرثي خبيب بن عدي ، فقال [2]:

مَاذا تَقُوْلُـــوْنَ إنْ قَـــالَ النَبِيُّ لَكُمْ حِينَ المَلائِكَـــةُ الأبْرَارُ في الأُفُـــقِ

ومن هؤلاء الملائكة الأبرار الذين كان لهم ذكر في شعرهم ، جبريلعليه السلام ، فـــهو وزير حمزة بن عبد المطلب في رثاء حسان له ، فقال [3]:

غَدَاةَ جِبْرِيْـــلُ وَزِيْـــــرٌ لَـــهُ نِعْـــمَ وَزِيرُ الفَـــــارِسِ الحَامِـــلِ

ومن الألفـــاظ التي لها صلة بعبادة المسلمين ، والتي وقع ذكرها في أشـــعارهم ، الصدقة والصلاة ، فالشهيد المجاهد عامر بن الاكوع عندمـــا كـــان فـــي ركـــب جيـــش المصطفى ﷺ نحو غزوة خيبر ، (أراد المصطفى أن يبعث النشاط في موكـــب الجيـــش الزاحف عن طريق الكلمة الطيبة المشجعة ، فقال لعامر ألاَ تسمعنا من هنيـــهاتك) [4] ، فسارع الجندي الفدائي المطيع وأخذ ينشد هذا النشيد الجهادي الذي ذكر فيـــه فضـــل الله تعالى وهدايته لهم ، الذي لولاه ما تصدقوا ولا صلوا [5] ، فقال [6] :

واللهِ لَـــوْلاَ اللهُ مَا اهْتَـــدَيْنَـــا وَلاَ تَصَدَّقْنَـــا وَلاَ صَـــلَّيْنَـــــا

---

(١) ديوانه: ٢٠٦ .

(٢) ديوانه: ٢١٣ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٢ .

(٤) الشهيد الخاهد المجاهد عامر بن الاكوع (بحث) : ٧٢ ، د. احمد الشرباصي .

(٥) يُنظر: الشهيد الخاهد المجاهد: ٧٢ .

(٦) سيرة النبوية: ٣٤٢ ، ويُنظر: الروض الانف: ٦/ ٥٠٠ ، ويُنظر: المنتظم: ٨١٥/٢ ، والبداية والنهاية: ٢٤٩/١٧ ، وعيون الأثر: ١٦٩/٢ ، والبداية والنهاية: ١٨٢/٤ .

وكذلك ورد مصطلح الشفاعة[1] ، كما أوجد الإسلام ألفاظاً حضارية جديدة تخص شؤون الدولة الإسلامية . فالعرب قبل الإسلام كان يحكمهم نظام القبيلة ، فكان هناك الزعيم أو الرئيس ، أمّا في الإسلام فقد اصبح الإسلام هو الحاكم ، والمسؤول عن أمر المسلمين هو أمير المؤمنين كالذي نجده في شعر عاتكة بنت زيد القرشية وهي تبكي زوجها عمر بن الخطاب "رضي الله عنهما" ، فقالت[2] :

أَبْكِي أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُوْنَـــه لِلْزَّائِرِيْنَ صَفَائِحٌ وَصَعِيْدُ

ومما تقدم يُلاحظ أنَّ هذه الأشعار قد أُودِعَت في معجم من الألفاظ القرآنية والإسلامية الجديدة – مَعْنى وجديدة لفظاً ومعنى – التي وجد فيها الشعراء معينهم الثرى في نظم أشعارهم التي تتعلق بالشهادة والشهيد .

أمّا في العصر الأموي فقد شاعت هذه الألفاظ في أشعارهم حتى شكلت هذه الألفاظ (معجماً قرآنيا من جهة تأثرها بألفاظ القران الكريم ، ومعجماً إسلامياً أخذ من مصطلحات الإسلام وإطلاقاته ، إلى جانب عوالم أخرى من التحضر والمدنية والهجرة مما جعلهم يميلون إلى ترك بداوة الألفاظ وغريب الاستعمال)[3] ، (فلمّا ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا إلى كل شي ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً ، وألطفها من القلب موقعاً ، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأشرفها)[4] .

فمن هذه الألفاظ ، لفظ الجلالة تبارك وتعالى الذي تردد في أشعارهم ، فهذا سليمان بن قَتَّة يرثي القائد أسد بن عبد الله ويدعو الله تعالى أنْ يُنزل الغيث على الأرض التي حل

---

(١) يُنظر: ديوان حسان. ٢٦٧ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٨ .

(٣) الصورة الأدبية في الشعر الأموي: ٣١٦ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب – بغداد ، محمد حسين علي الصغير ١٩٧٥ .

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٨ للقاضي الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي .

فيها قبر أسد ، فقال[1] :

سَقَى اللهُ بَلْخاً سَهْلَ بَلْخٍ وَحَزْنَهَا وَمَرْوى خُرَاسَانَ السَّحابَ المُجمَّمَا

أمَّا أبـو صخر الهذلي فنراه في رثائه لأبنه داود مؤمناً بـأنَّ قـدر الله واجـب ، فقال[2] :

فَيَغْدُوُ الفَتَى وَالمَوْتُ تَحْتَ رِدَائِهِ وَلابُدَّ مِنْ قَـدَرٍ مِنَ اللهِ وَاجِـبِ

وقال [3] :

وَلَولا يَقينُ أنَّمَا الموْتُ عَزْمَـة مِنَ اللهِ حتَّى يُبعثُوا لِلْمَحَـاسِبِ

وهذا الشمردل اليربوعي يبلغه نبأ استشهادُ أخيه وائل فيصبر ويشكو فقده إلـى الله تعالى لا إلى الناس ، فقال[4] :

إلى اللهِ أشكوُ لا إلى الناسِ فَقْدَهُ وَلَوْعَـةَ حُزنٍ أوجَعَ القَلْبَ دَاخلهُ

ويتمنى أعشى همدان وهو أحد المجاهدين المشاركين في فتح سمرقند أنَّ يُقتل فـي سبيل الله تعالى ويلقاه وقد خضبته الدماء ، فقال [5] :

تَحضُرُ الطَّيرُ مَصْرَعِي وَتَرَوَّحْتُ إلى اللهِ بالدِّمَـاءِ خَضِيْبَـا

وهذا أبو صخر الهذلي يقول إني أُجاهد الأعداء في سبيل الله تعالى ، وإليه تعـالى أبغي فضل هذا الجهاد ، فيقول [6] :

ولَمَّا أطاعِـن في العدُوِّ تنقُّـلاً إلى اللهِ أبغي فَضْلَهُ وأُضاربِ

---

(١) تاريخ الطبري: ٨/٢٤٩ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي: ٢٢٧ .

(٢) شرح أشعار الهذليين: ٢/٩١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٢/٩١٩ .

(٤) شعراء أمويون: ق٢/٥٤١ .

(٥) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الاموي: ٨١ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الاموي: ١٥٦ .

(٦) شرح أشعار الهذليين: ٢/٩٢٣ .

وهذا الفرزدق يبين لنا أن القائد المجاهد الجراح بن عبد الله الحكمي قد انتقل الى رحمة الله تعالى فقال [1] :

لَقَدْ صَبَرَ الجَرَّاحُ حَتَّى مَشَتْ بِهِ إِلى رَحْمَةِ اللهِ السُيُوفُ الصَّوَارِمُ

كما وردت في شعرهم لفظة الرحمن وهي من أسماء الله تعالى الحسنى ، ونجد هذا الاسم العظيم في شعر أبي صخر الهذلي الذي رثى به ابنه داود ، فقال[2]:

وَتَهْدِي رَوَايَا سَيْبِهِ وَسِجَالِهِ لِدَاوُدَ والرَّحمَنُ جَمُّ المَوَاهِبِ

وقد وردت في أشعارهم أيضا مصطلحات إسلامية جديدة مستوحاة من القرآن الكريم مثل (محصى السرائر عالم) ، الذي ورد في شعر الفرزدق الذي رثى به القائد الشجاع الجراح بن عبد الله ، فقال[3]:

جُزُوا بالسَّرِيراتِ التي في قُلوبِهم جَزَاهُم بِهَا مُحْصِي السَّرائِرِ عَالِمُ

ومحصي السرائر هو رب العزة والجلال .

ووردت في أشعارهم أيضا ألفاظ الرسالة ، والإسلام والمسلمين ، والدين ، والنبي واسم المصطفى محمد ﷺ ، فلفظ الرسالة نجده في شعر الشمردل الذي رثى به اخاه وائلا ، فقال[4]:

تَحِيَّةَ مَنْ أَدَّى الرسالةَ حُيِّيت إِلينَا وَلَمْ تَرْجَع بِشَيءٍ رَسَائِلُه

أما لفظة المسلمين فقد وردت في آخر بيت من قصيدة ابي صخر الهذلي في رثاء ابنه داود فقال:[5]

وَ أَعْطِفْ وَرَاءَ المُسْلِمِينَ بِشَدَّةٍ عَلَى دُبُرٍ مُجلٍ من العَيْشِ ذَاهِبِ

ونجد لفظة الإسلام في شعر الفرزدق الذي وصف به أثر قومه في الجهاد لاجل إعلاء كلمة لا اله إلا الله ، وطريق الجهاد هو طريق الشهادة الذي فضلوه وتمسكوا به في

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٢ .
(٢) شرح أشعار الهذليين: ٩٢٣/٢ .
(٣) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٢ .
(٤) شعراء أمويون: ق٥٤٢/٢ .
(٥) شرح أشعار الهذليين: ٩٢٣/٢ .

كل مكان فقال [1] :

رِجَال عَن الإسلامِ إِذْ جَاءَ جَالَدُوا ذَوِي النكث حَتَّى أَوْدَحُوا بِهَوانِ

أما لفظة النبي فنجدها في شعر الفرزدق أيضا ، الذي رثى به القائد المجاهد الشهيد الجراح بن عبد الله الحكمي ، إذ أكد الفرزدق أن هذا القائد هو رفيق النبي ﷺ في جنات النعيم ، فقال [2]:

رَفِيقُ نَبِيِّ اللهِ فِي الغُرْفَةِ التي إِليها انْتَهَى مِن عَيشهِ كُلُّ نَاعِمِ

كذلك أورد الفرزدق اسم المصطفى محمد ﷺ في نفس الغرض وبنفس هذا المعنى فقال[3]:

إِلى الغُرْفَةِ العُلْيَا رَفِيقُ مُحَمَّدٌ مُقِيْمَاً وَلا مِنْهَا هو الدَّهر رَائِمُ

كما تغنى الشعراء المسلمون وغيرهم ممن لم يتخصص بقول الشعر – وإنما أنشد شعره لهدف معين ولغرض معين – بجنان النعيم التي اصبح الفوز بها مناهم وغايتهم من جهادهم الأعداء .

هذا أهم ما وجد من ألفاظ المعجم الشعري الإسلامي عند شعراء هذا العصر فيما يخص موضوع الدراسة ، وبعدما تقدم يمكن القول إنه يوجد تشابه كبير بين ألفاظ صدر الإسلام والعصر الأموي ، في حين كان بينهما اختلاف يسير فألفاظ المعجم القرآني

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٨٧٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٢/٨٧٩ .

(٣) المصدر نفسه:٢/ ٨٠٦ .

والإسلامي كانت بجملتها أكثر تواجداً عند شعراء صدر الإسلام منها عند شعراء العصر الأموي ، وهذا لا يعني عدم اهتمام شعراء العصر الأموي بهذه الألفاظ ، بل اهتموا بها واكثروا من تضمينها أشعارهم[1] . لكن هذا الفرق القليل يعود سببه إلى أنّ قسماً من الألفاظ والمصطلحات الإسلامية اقتضى وجودها في شعر صدر الإسلام موقف معين ، منها مثلا لفظتا (أمير المؤمنين والإمام) فهاتان اللفظتان قد أكثر شعراء صدر الإسلام من إيرادها في شعرهم ، وسبب ذلك أنّ بعضا من شهداء صدر الإسلام كانوا هم أمراء المسلمين وقادة الدولة الإسلامية ، وهو (عمر بن الخطاب ﷺ) فمصطلح أمير المؤمنين أو الإمام هو لقب هذا الخليفة ، فعندما استشهد أكثر الشعراء من ذكر هذا اللقب في شعرهم الذي رثوه به ، وقرنوا به شجاعته وكرمه وتقواه ، وكل سجية عرف بها هذا الخليفة . أما العصر الأموي فإن شهداءه قسمان: قسم يضم قادة الجيوش الإسلامية ، وهم قليل ، ولا يُقْصَد بكلمة قليل قلة هؤلاء القادة البواسل ، بل يُقْصَدُ بها قلة ما وصل إلينا من شعر رُثِيَ به قادة هذا العصر ، أما القسم الآخر فيضم عامة المسلمين الذين كانوا جنوداً تحت لواء هؤلاء القادة ، وكلا القسمين لا يستحق أي منها لقب (أمير المؤمنين أو لقب الإمام) فالفرق واضح .

كذلك الأمر بالنسبة للفظة (الشهيد) التي لم يكن لها وجود في شعر هذا العصر فيما يخص موضوع الدراسة ، وهذا الفرق يعود سببه إلى أنّ هذه اللفظة كانت جديدة بمعناها عند شعراء صدر الإسلام الذين أكثروا من ذكرها في أشعارهم في حق كل مسلم شهيد ، حتى يؤكدوا بها لأعدائهم المشركين أنّ قتلاهم شهداء قد نالوا الجنة ، أما قتلى الكافرين فمصيرهم إلى جهنم خالدين فيها ، في حين أنّ الأمور في العصر الأموي قد تغيرت ، إذ استقرت الدولة الإسلامية وتوسعت حدودها ، وقوي نفوذها ، فأصبح أعداؤهم خارج حدود دولتهم الكبيرة ، وهذا العدو البعيد (الروم وغيرهم) هو خلاف أعداء المسلمين في صدر الإسلام إذ كانوا من العرب المشركين ، فمن يقتل من جنود المسلمين في العصر الأموي فهو شهيد حتى وإنْ لم يذكروا لفظة الشهيد .

---

(١) ذكرت الدكتورة ابتسام مرهون الصفار في كتابها (أثر القرآن في الأدب العربي) أن شعراء العصر الأموي قد اكثروا من استعمال الألفاظ الإسلامية في أشعارهم ، ينظر: كتابها ١٧ – ١٣٤ وكذلك الأمر نفسه أشار الأستاذ د.سامي مكي العاني في كتابه الإسلام والشعر ، ينظر: كتابه: ٢٦٦ – ٢٨٣ .

والتعليق نفسه ينطبق على ألفاظ أخرى مثل الإسلام ، والمسلمين ، والنبي ، والصلاة ، والصيام ، والملائكة ، وجبريل عليه السلام ، فهذه الألفاظ كانت اقرب ما تكون سلاح شعراء صدر الإسلام ضد خصومهم المشركين ، فعندما يذكرون هذه الألفاظ في أشعارهم سوف يتبين لاعدائهم المشركين أنّ هذه الألفاظ قد جاء بها الدين الجديد فهي جزء منه ، أما في العصر الأموي فإنّ دولة الإسلام أصبحت لها القوة العظمى وأصبح أعداؤهم المستضعفين ، فلا حاجة أنْ يذكروا هذه الألفاظ في أشعارهم ، لكن في الوقت نفسه كانت لها حاجة ماسة ومهمة في اتجاهات الشعر الأخرى ، ومنها شعر الزهد والإصلاح .

المبحث الثالث
الأساليب

إنَّ لغات العالم الكثيرة والمختلفة فيما بينها ، ما هيَ إلاَّ تراكيب تكونت من اجتماع كلمات معينة ، وهذه الكلمات تشكلت من ضم الحروف بعضها الى بعض ، فاللغة هي مزيج ذلك كله ، وهذه التراكيب تختلف من لغة الى اخرى ، فكل لغة لها قوانينها ومرونتها ، كذلك فإن هذه التراكيب تختلف باختلاف مستخدمي هذه اللغة ، فكل شخص يستخدم منها ما يراه مناسباً ، فاللغة العربية هي واحدة من أهم اللغات في العالم ، فما تمتلكه هذه اللغة من عدد حروفها هو كاف لكل شاعر وأديب في أنْ يُكّون الجمل التي يراها مناسبة للتعبير عن المعنى أو الفكرة التي يُريد أنْ يفصح عنها ، فاللغة هي إذاً ثوب الفكرة [1] ، لكن هذا المعنى أو هذه الفكرة لابد لهما من طريقة معينة يضمن بها الشاعر أو الأديب أنَّ معناه أو فكرته سوف تصل المستمع أو القارئ ، فكان (الأسلوب هو فصال الثوب وطرازه الخاص) [2]. ، فالأسلوب هو الوسيلة أو الطريقة التي يستخدمها الشاعر أو الأديب في إيصال أفكاره إلى المستمع بعبارات لغوية [3] .

فالشاعر العربي هو أعلم الناس بهذه اللغة ، فقد خبر أساليبها ، وعرف مكان الجودة فيها ، وهذه الخبرة ، وهذه المعرفة ازدادت عندما أشرق فجر الإسلام بنور القران الكريم ، الذي وجد فيه شعراء المسلمين خير معين ، فأخذوا من أساليبه ومعانيه ما يكفيهم لخدمة الدعوة الإسلامية بأشعارهم ، فأصبحت لهم أساليبهم الخاصة التي ضمنوها أشعارهم ، فكان أثر الإسلام في قسم كبير منها على ما سنرى ، أمَّا القسم الآخر من أساليبهم فقد اقتضته طبيعة القضية التي يُعالجونها والأهداف التي ترمي إليها هذه المعالجة.

فمن هذه الأساليب التي لا نقول إنَّها جديدة في ذاتها ، وإنما جديدة في معناها وما تهدف إليه ، الدعاء فكان (من الأساليب ذات العناصر الإسلامية الجديدة ، فقد تفنن

---

(١) يُنظر: الأسلوب والأسلوبية. ٢٠ ، تأليف كراهم هاف ترجمة: كاظم سعد الدين ، والشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي: ٣٣٣ .

(٢) الأسلوب والأسلوبية: ٢٠ .

(٣) يُنظر: الأسلوب: ٤٤ ، احمد الشايب .

الشعـــراء الإسلاميون في أدعيتهم وابتهالاتهم الدينية ، فكـــانت ضـــروباً مختلفـــة) [1] ، فالدعاء لشهداء المسلمين بالرحمة والمغفرة كان واحداً من هذه الضروب ، فقـــد خصـــوا قسماً من الشهداء بهذا الدعاء ، وكان العموم للقسم الآخر ، فمن ضروب الدعاء الخـــاص ما نجده في شعر عبد الله بن رواحة الذي رثى به نافع بن بُديل بن ورقـــاء الذي استشـــهد يوم الرجيع ، فقال داعيا له بالرحمة [2]:

رَحِـــمَ اللهُ نَافِـــعَ بنْ بُدَيـــــلٍ رَحْمَـــةَ المُبْتَغِي ثَـــوابَ الجِهَـــــادِ

ومنه أيضا دعاء حسان بن ثابت للمنذر بن عمرو ، فقال [3] :

صَلَّى الإلهُ عَلَى ابْنِ عَمْرو إنَّهُ صَدَقَ اللِقَاءَ وَصِدْقُ ذَلكَ أَوْفَقُ

فصلاة الله تعالى على العباد هي رحمته جلَّ شأنه عليهم[4] .

كما دعا الشماخ بن ضرار المولى عز وجل أنْ يجزي أمير المؤمنين عمـــر بـــن الخطاب ﷺ خيراً لما أسداه من خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين ، فقال [5]:

جَزَى اللهُ خَيْرَاً مِنْ أمِيرٍ وَبَارَكَتْ يَـــدُ اللهِ في ذَاكَ الأَدِيْـــــمِ المُمَزَّقِ

والأمر نفسه نجده عند كعب النهدي الذي استشهد ابناه عمرو وحمـــل ، فحمـــد الله تعـــالى عـــلى استشهادهم ودعا المولى عز وجل أنْ يجزيهُما خيراً ، فقال [6]:

جَزَى حَمْلاً جَازِي العِبَادِ كَرَامَةً وَعَمرو بْنَ كَعْبٍ خَيْرَ ما كَانَ جَازِيَا

أمَّا الدعاء لعامة شهداء المسلمين فنجده عند حسان بن ثابت في رثائه لشهداء يـــوم الرجيع ، فقال [7]:

صَلَّى الإلهُ عَلَى الذين تَتَابَعُوا يَـــوْمَ الرَّجِيـــعِ فَأُكرِمُوا وأُثِيبُـــوا

---

(١) الإسلام والشعر: ٢٠٩ ، د.سامي مكي العاني .

(٢) ديوانه: ٩٢ .

(٣) ديوانه: ٤٩٧ .

(٤) ينظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٤ .

(٥) ديوانه: ٤٤٨

(٦) التعازي والمراثي: ٢٤١ ، التعازي: ١٨/١ .

(٧) ديوانه: ١٧٩ .

ومنه أيضا دعاء كعب بن مالك بالرحمة لشهداء المسلمين يوم مؤتة ، فقال [1] :

صَلَّى الإلهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُم الغَمَامُ المُسْبِلِ

ولم ينسَ المجاهدون وهم يخوضون غمار الحروب بحثاً عن الشهادة دعاء المولى عز وجل ، فضرار بن الازور المجاهد مع إخوته المسلمين في فتوحات الشام يتقدم صفوف المقاتلين في إحدى المعارك ضد الروم ، متوكلاً على الله تعالى ويدعوه أنْ يغفر له ذنوبه ، ويمحو زلاته ، ويُوفقه إلى خير العمل [2] ، فَحُبُّه للشهادة جعله يدعوه هذا الدعاء حتى يلقاه بوجه حسن ، فقال [3] :

عَلَيْكَ رَبِّي في الأُمورِ المُتَكِلْ
اغْفِرْ ذُنُوبِي إنْ دَنَا مِنِّي الأجَلْ
يارَبِّ وَفِّقْنِي إلى خَيْرِ العَمَلْ
وَعِنِّي امْحُ سَيِّدِي كُلَّ الزَّلَلْ
مَالِي سِوَاكَ في الأُمُورِ مِنْ أَمَلْ

أمَّا عبد الله بن رواحة فيو لم يدع لاحدٍ ما ، ولا لجماعة ، بل دعا الله تعالى أنْ يرزقه الشهادة بضربة تقذف الزبدا ، فقال [4] :

لَكِنَّنِي أسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

ومن الأساليب الأخرى التي نلمح فيها أثر الإسلام ، هو أسلوب نداء العين بالبكاء على شهداء المسلمين . وقد يسأل سائل ما الجديد في هذا الأسلوب وهو أمر قد شاعَ استخدامه عند شعراء ما قبل الإسلام ؟. نقول إنَّ البكاء في شعر ما قبل الإسلام كان يُصاحبه الجزع والاعتراض على قدر الله تعالى في أخذ شخص ما ، أمَّا بكاء المسلمين على شهدائهم فهو بكاء تسيطر عليه الروح الإسلامية ، فكان أحدهم (يتجلد ويحافظ على

(١) ديوانه: ٢٠٥ .

(٢) يُنظر: الإسلام والشعر: ٢١ ، د.سامي مكي العاني .

(٣) فتوح الشام: ٢/٢٣٨ .

(٤) ديوانه ٨٨ .

توازنه ويعبر عن هذا الموقف تعبير الحكيم العاقل المتكول في آن) [1] واحد ، فشعراء المسلمين في بكائهم على شهدائهم يقتدون برسول الله ﷺ حينما توفي ابنه إبراهيم ، فقال: " إنَّ العينَ تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلاَّ ما يُرضي ربنا ، وإنَّا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون " [2] ، فالقارئ لاشعارهم يلمح هذا الأثر جلياً فيجد الرضا بقضاء الله تعالى ، والصبر واحتساب هؤلاء الشهداء عند الله تعالى في جنات الخلد ، وهم في هذا الأسلوب – نداء العين – نجدهم أيضا قد خصوا قسماً من الشهداء بهذا النداء ، وعمّوا القسم الآخر بهذا النداء ، فمن نداء الخصوص ما نجده في شعر كعب بم مالك في رثائه عبيدة بن الحارث ، إذ ينادي عينه أنْ تجود بدمعها على هذا الشهيد ، فقال [3] :

أَيَا عَيْنُ جُودِي وَلا تَبْخَلِي بِدَمْعِكِ حَقّاً وَلا تَنْزُرِي

أمَّا نُعم زوج شمّاس بن عثمان الذي استشهد يوم أُحد ، فتنادي عينها طالبة منها أنْ تجود بفيض دموعها على هذا الرجل الكريم ، فتقول [4]:

يَا عَيْنُ جُودي بفَيضٍ غَيرِ إبساسِ عَلى كَرِيمٍ مِنْ الفِتْيَانِ أبَّاسِ

وهذا حسان بن ثابت يُنادي عينه أنْ تجود هي أيضاً بدعمها على فتى الفتيان خبيب ابن عدي ، الذي غادر مع غيره من الشهداء هذه الدنيا دون رجعة إليها ، فقال [5] :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ مُنسَكِبِ وَابْكِي خُبيباً مَعَ الغَادِينَ لَمْ يَؤُبِ

وعندما استشهد سليمان بن خالد بن الوليد ﷺ تأثر عمار بن ياسر ﷺ لاستشهاده وحزن عليه ، ونادى عينه أنْ تذري عليه دمعها الصبيب ، فقال [6] :

يَا عَيْنُ اذْرِي الدَّمْعَ مِنْكِ الصَبِيبِ ثُمَّ ابْدِي يَا عَيْنُ فَقْدَ الحَبِيبِ

---

(١) رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي: ٤٦ .

(٢) صحيح البخاري: ٤٣٩/٢ .

(٣) ديوانه: ١٦٨ .

(٤) معجم ديوان أشعار النساء: ١٦٢ .

(٥) ديوانه : ٣٧٠ .

(٦) فتوح الشام: ٢٦٣/٢ .

وهذه عاتكة بنت زيد تطلب من عينها أَنْ تجود بدمعها دون ملل على زوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فتقول [1] :

عينُ جُودي بعبرةٍ ونَحيبِ لا تَمَلّي عَلى الإمامِ النَّجيبِ

كما كان لعامة شهداء المسلمين حظهم من هذا النداء ، فحسان بن ثابت يبكي على شهداء المسلمين يوم بئر معونة ، فيقول [2] :

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلّي بِدَمْعِ العَيْنِ سَحّاً غَيرَ نَزْرِ

ونجده مرة أُخرى يبكي على شهداء المسلمين قادة جيش مؤتة ، فيطول به البكاء حتى نَفِدَ دمعه ولم يبقَ إلاّ القليل منه ، لكنه مع هذا يُنادي عينه أن تجود بهذا النزر القليل [3] ، فيقول [4] :

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكِ المَنْزُورِ وَاذكُري في الرَّخَاءِ أَهْلَ القُبُورِ

واذكُري مُؤتةَ وما كان فيها يَوْمَ ولّوا في وَقْعَةِ التَّغويرِ

أمّا همام بن جرير فيطلب من عينه أن تبكي على شهداء المسلمين الذين نالوا الشهادة في إحدى فتوحات الشام ، دون توقف ، بل تسحُّ دموعها مثل مطر الغمام الذي في السماء ، فقال [5] :

يَا عَيْنُ ابْكِي لا تَمَلّي البُكَى سُحّي دُمُوعاً مِثْلَ سَكْبِ الغَمَامِ

وأسلوب القسم قَدْ وُجِدَ ومن خلال أشعارهم متأثراً بثقافة الدين الجديد أيضا ، وهذا القسم قد تنوعت ضروبه في أشعارهم ، فتارة يقسمون أنهم لا ينسون شهداءهم ، وتارة يقسمون أنهم سوف ينتقمون من قاتليهم ، وتارة يقسمون أنَّ فراق الشهداء قد أثر فيهم فهم حزانى عليهم ، وتارة يقسمون على تأكيد شجاعة الشهداء وغير ذلك من ضُرُوب القسم الاخرى .

---

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٧.

(٢) ديوانه: ٢٠٧ .

(٣) يُنظر: شرح ديوان حسان: ٢٤٤ الهامش .

(٤) ديوانه: ٢٩٥ .

(٥) فتوح الشام: ٢٨٤/٢ .

فهذا حسان بن ثابت يقسم بالله العظيم أنَّهُ لا ينسى حمزة ما دامت الناقة التي لـــها لبن مربوطة أمامه ، لأنها تذكره بكرم هذا الفارس المغوار ، فقال [1] :

يا حَمْزَ لا واللهِ لا أَنْسَاكَ ما ضُرَّ اللَقائِح

وصفية بنت عبد المطلب هي أيضا تقسم بالله العظيم أنَّها لا تَنْسَى أخاها حمزةَ كُـلَّ ما هبَّت الريـــح الشرقية ، وسوف تبكيـــه في حضورها وغيابها ، فتقول [2]:

فَوَ اللهِ مَا أُنْسَاكَ مَا هَبَّتْ الصَّبَا وَلأَبْكِيَنَّ في مَحْضَرِي وَمَسِيرِي

كما أقسم قسم من المجاهدين وقادة المسلمين على أخذ الثأر مـــن قـــاتلي رفاقـــهم المجاهدين[3] ، أمَّا كعب بن مالك فأقسم أنه قَد هُدَّ لفقد حمزة هُدَّةً ظَلَّ منها جسمه يرتعـد ، فقال [4] :

وَلَقَدْ هُدِدتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هُـدَّةً ظَلَّـتْ بَنَـات الجَـوْفِ مِنْـهَا تَرْعِـدِ

وَلَقَد أخـال بِذلكَ هِنـداً بُشِّرَتْ لِتُمِيْـتَ داخِـل غُصَّـــة لا تَـبْرُدِ

فهذا النوع من القسم يسمى بالقسم المضمر ، والذي يدلُّ عليـــه هـــو هـــذه الـــلام الموطئة للقسم [5] . كما وجدنـــا في أشعـــارهم استعمال الفعل (أقسم ، فـــي أيمـــانهم مجرداً عن المقسم به) [6] ، فهذا عبد الله بن رواحة يقسم على نفسه أنْ تنزل إلى ســـاحة المعركة طائعة أو مكرهـــة ، فهو لا يهمه رضاها بقدر ما تهمه الشهادة والفـــوز بـــها ، فقال [7] :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّهْ لتنزلـــنَّ أو لتُكرهنَّـــهْ

---

(١) ديوانه: ٤٥٠ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٣) يُنظر: شعر عمار بن ياسر ، وخالد بن الوليد ، وهشام بن حرير في فتوح الشام: ٢٦٤/٢ و ٢٦٧ و ٢٨٤ .

(٤) ديوانه ١٥٩ – ١٦٠

(٥) يُنظر اساليب القسم في اللغة العربية: ٣٤٢ ، كاظم فتحي الراوي .

(٦) يُنظر المصدر نفسه : ٣٤٥ .

(٧) ديوانه: ١٠٨ .

أمَّا أبو خراش الهذلي فإنه يُقسم بالله العظيم لقاتل ابن عمه زهير بن العجوة أنَّه لو لاقاه غير موثق اليدين لَقَاتَلَهُ بشراسة ضباع الوادي الجياع المشتهيات للاكل ، مؤكداً من خلال هذا القسم شجاعته ، فقال[1]:

فَو الله لَولاقَيْتَهُ غَيْرَ مُوْثَقٍ لآبَكَ بالجَزْعِ الضِّبَاعُ النَّواهِلُ

وقد حفلت أشعارهم كما أوضحنا بأساليب اخرى اقتضى وجودها طبيعة القضية المُعالجة والاهداف المستوحات من هذه المعالجة ، فمن هذه الاساليب أسلوب الاستفهام التعجبي ، ونجد هذا واضحاً في رثاء حسان لخبيب بن عدي ،فهو يستفهم مُتعجباً من عين لا تجف دموعها ، بل هي تصب هذا الدمع على الصدر كأنه قطع اللؤلؤ[2] ، فقال[3]:

ما بالُ عَينِكَ لا تَرْقَا مَدَامِعُهَا سَحَّاً عَلى الصَّدْرِ مِثْلَ اللؤلؤ القَلِقِ

ولم يكن اسلوبا الاستفهام والتعجب خاتمة ما وُجِدَ من أساليب في أشعارهم ، بل وُجِدَ عند نفر من المجاهدين الذين كانوا يخوضونَ غمار الحروب ويتقدمون الصفوف اسلوب الرجاء ، فقد كانوا يرجون من المولى عَزَّ وَجَلَّ أنْ يرزقهم الشهادة والفوز بها في هذا القتال ، فأبو ذر[4] الغفاري رضي الله عنه ، كان من المجاهدين المشاركين في فتوح الشام ، نراه في إحدى المعارك يمضي نحو الاعداء بقلب شجاع وثبات على القتال ، فكله عزم على قتال الاعداء ، ثم يرجوه تعالى أنْ يرزقه الشهادة ، فانشد[5]:

سَأَمْضِي لِلْعِدَاةِ بِلا اكْتِئَابٍ وَقَلْبِي لِلِقَا وَالحَرْبِ صَابِي

وَلِي عَزْمٌ أَذَلَّ بِهِ الأَعَادِي وَأَرجُو الفَوْزَ فِيهِمْ وَالثَّوَابِ

مما تقدم نلاحظ أثر القرآن واضحا في أساليبهم ، فاصبحت واضحة بعيدة عن الغموض والتعقيد ، فاستعملها الشعراء وغيرهم ممن لم يتخصص بقول الشعر ، بل

---

(١) ديوان الهذليين: ٢/١٥٠ .

(٢) يُنظر: شرح ديوان حسان: ٢٤٦ الهامش .

(٣) ديوانه: ٢١٣ .

(٤) هو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صُعَير بن حرام بن غفار الغفاري ، وامه رملة بنت الوقيعة ، من بني غفار من مليل ، كان من كبار الصحابة قديم الإسلام ، وتوفي ابو ذر سنة احدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين . يُنظر: الإستيعاب: ٤/١٦٥٢ – ١٦٥٦ ويُنظر: الإصابة: ٧/٦٠ – ٦٣ .

(٥) فتوح الشام: ٢/٢٢٧ .

أنشد شعره متأثرا بموقف معين مر به ، فاستعمل كل واحد منهم اسلوبا معينا يناسب الغاية التي من أجلها أنشد هذا الشعر .

ولم يختلف الأمر كثيرا عند شعراء العصر الاموي ، فهم ايضا قد استخدموا معظم هذه الاساليب ، التي قد تجلى أثر القران في الكثير منها ، فنبدأ كما بدأنا عند شعراء صدر الإسلام باسلوب الدعاء .

فهذا أبو صخر الهذلي يدعو المولى ﷻ أن يلهمه الصبر على فقد ابنه الشهيد ، فيقول [1]:

سَألتُ مليكي إذْ بَلانِي بفَقْدِهِ وفاةً بأيدي الروم بين المقانبِ

واسلوب نداء العين على قلته كان له وجود في اشعارهم ، فهذا خالد بن عقبة ينادي عينه أن تجود بدموعها على القائد سعيد بن عثمان بن عفان "رضي الله عنهما" ، فقال [2]:

يَا عَيْنُ جُوْدِي بِدَمْعٍ مِنْكِ ثَهْتَانَا وَابْكِي سَعِيد بِن عُثْمَانَ بن عَفَّانَا

في حين نجد الشمردل في قصيدته التي رثى بها أخاه وائلا وفي منتصفها يطلب من عينيه أن تبكيا الدهر على من نصره وعطاؤه قد بعد عنهم ، فقال [3]:

فَعَيْنَيَّ إذا أَبْكَاكما الدهرُ فابكيا لمن نصرُهُ قَدْ بَانَ مِنَّا ونائِلُه

والأمر نفسه نجده قد اتبعه في قصيدته الاخرى التي رثى بها أخويه قدامة ووائلاً ، ففي منتصفها ايضا نادى عينيه أن تُفضلا بدمعها عليهما ، فقال [4]:

فعَينيَّ إن أفضلتُما بعد وائلٍ وصاحبه دمعاً فَعُودا على الفَضْلِ

(١) شرح أشعار الهذليين: ٩٢٣/٢ .

(٢) تاريخ ابن عساكر : ١٥٨/٦ .

(٣) شعراء أمويون: ق٥٤٣/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ق٥٤٨/٢ .

لكن هذا الدمع قد أفناه البكـــاء على أخيه الحكـــم الذي استشهد أيضا، فقال [1]:

فَقَدْ أَفْنَى الْبُكاءُ عَلَيْهِ دَمْعِي وَلَو أَنِّي الفَقِيدُ إِذاً بَكَانِي

كما استخدموا اسلوب القسم ، فهذا عقيل بن علفة يقسم أنه لا يبكي على ابنه الـــذي هلك ، لانه قتل شهيدا في سبيل الله تعالى وفاز بالشهادة ، فقال [2]:

فَأَقْسَمْتُ لا أَبْكِي عَلَىٰ هُلْكِ هَالك أَصَابَ سبيلَ الله خَيْرَ سَبيلِ

واستعمل بقية الشعراء (لعمر) مضافة الى الاسماء الظاهرة أو المضمرة اســـلوبا للقسم [3]، فهذا الشمردل اليربوعي يقسم أن اخاه قد أصبح في دار فرقة بعيـــدة ، ورجـــع إلينا منه سيفه ورواحله ، فقال [4]:

لَعَمْري لَئِنْ هَالَتْ أَخي دَارَ فُرْقَةٍ وَآبَ إِلينَا سَيْفُهُ ورواحلُه

ويقسم عقيل بن علفة أن نبأ استشهاد ابنه الذي وصل اليه كـــان عليـــــه ثقيـــلا ، فقال [5]:

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ قَوَافِلُ خُبِّرَتْ بِأَمْرٍ مِنَ الدُّنيَا عَلَيَّ ثَقِيلِ

(١) شعراء أمويون: ٥٥٣/٢ .

(٢) الاغاني: ٣١٣/١٢ .

(٣) ينظر: اساليب القسم في اللغة العربية: ٣٢٩ .

(٤) شعراء أمويون: ق٥٤٠/٢ .

(٥) الاغاني: ٣١٢/١٢ .

وهذا الشمردل اليربوعي من شدة حزنه على أخيه ولئل يُقسم أنَّ الموت يختار منهم من كان شجاعاً كريما ، فيقول [1]:

لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ مِنَّا لَمُولَعٌ بِمَن كان يُرجَى نصرهُ ونوافِلُه

وهذا المعنى يذكرنا بقول طرفة بن العبد الذي يقول إنَّ الموت يختار الكرام ويترك ويبتعد عن البخيل الفاحش ، فقال [2]:

أرى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرامَ ويَصْطَفِي عَقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتَشدِّد

أمَّا الفرزدق في رثائه لابن أخيه محمد فيقسم أنّه قد سَلِمَ لو أنَّ جثوَةً على قَبْرٍ ردَّ السلام كلامها ، فقال [3]:

لَعَمْرِي لَقَدْ سَلمتُ لو أنَّ جثوةً على جَدَثٍ ردَّ السَّلامِ كلامُها

وهذا الشمردل اليربوعي يُقسم أنَّ الانسانَ إذا ما نجا من الاحداث دون أذى ، فإنَّه لن ينجو من الهرم ، فقال [4]:

لَئِن نجوتَ من الاحداث أو سَلَمَتْ نَفسُكَ لم تَسلَم مِنَ الهَرَمِ

ودلنا على قسمه هذا اللام الموطئة للقسم ، ومثل هذا القسم وُجِدَ أيضا عند الفرزدق عندما أقسم أنَّ المنية قد أخذت منه محمداً ، لكن أخذها هذا قد أهلكَ الاولين ، فقال [5]:

لَئِنْ خَرَّمَتْ عَنِّي المنايا مُحَمَّدَاً لَقَد كان افنَى الأوَّلِينَ اخترامُها [6]

إنَّ وجود اللام الموطئة للقسم دليل عليه لا يمنع أنْ يكون هناك قَسَمٌ دون أنْ يدلّ عليه لفظ معين ، بل الدلالة تكون للمعنى [7]، كالذي وجدناه عند الفرزدق في رثائه لابن

(١) شعراء أُمويون: ق٢/٥٤٥ .

(٢) ديوانه: ٣١ .

(٣) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٥٣ .

(٤) شعراء أُمويون: ق٢/٥٥٢ .

(٥) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٥٢ .

(٦) يقال اخترم فلان عنا: أي مات وذهب ، واخترمته المنية من بين أصحابه: أي أخذته من بينهم . يُنظر: اللسان: ٢ ١١٤٥ (خرم) .

(٧) يُنظر: اساليب القسم في اللغة العربية: ٣٩ .

اخيه محمد ، عندما أقسم أنَّه سوف يبكيه بحزنٍ ما دام يمشي على الارض إنسان ، وما لاح نجم في السماء ، وكلما هتفت حمامة أيكٍ فوق الغصون ، فقال [1]:

سَأَبْكِيْكَ مَا كَانَتْ بِنَفْسِي حُشَاشَةٌ وَمَا دَبَّ فَوْقَ الأَرْضَ يَمْشِي أَنَامُهَا

وما لاح نجمٌ في السَّماءِ وما دعى حمامةَ أيكٍ فَوْقَ سَاقٍ حَمَامُهَا

كما استعملوا اسلوب الاستفهام قاصدين من خلاله لفت انتباه السامعين الى ما يُريدون التحدث عنه ، فهذا خالد بن المعارك الملقب بابن عُرس يسأل مستفهما عن حال حماة الحرب ، ويقصد بهم شهداء المسلمين يوم الشِّعب ، وقصد بهذا السؤال الاستفهامي إثارة الحزن عليهم ، فقال [2]:

أَيْنَ حُمَاةَ الحَرْبِ مِنْ مَعْشَرٍ كَانُوا جَمَالَ المِنْبَرِ الخَارِدِ

بَادوا بآجالٍ توافوا لها والعَائرُ المُمْهَلُ كالبَائِدِ

لكننا نجده صابراً محتسباً ، لانه أدرك وأيقن أنَّ الميت لا رجعة له ، وأنّه لا خلود في الدهر لحي من الاحياء ، وهذا المعنى نوَّه إليه وأشار إليه من خلال اسلوب الاستفهام ، فقال [3]:

أُنْظُرْ تَرَى لِلْمَيْتِ مِنْ رَجْعَةٍ أَمْ هَلْ تَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ خَالِدْ

كما وجدنا عند بعض المجاهدين الذين شاركوا في معارك المسلمين ضد الكافرين أناشيد جهادية يرجون فيها المولى ﷻ أن يرزقهم جنانا جمعت كل النعيم ، فهذا يعقوب بن عبد الكريم يرجو الله تعالى ان يرزقه هذه الجنان ، فقال [4]:

أَرْجُو جِنَانًا حَقَّقَتْ كُلَّ النِّعَمْ مَعَ فِتْيَةٍ كانُوا لَعَمْرِي كَالبهم

هذا اهم ما وُجِدَ من اساليب عند شعراء هذا العصر فيما يخص موضوع البحث .

ومما تقدم يمكن القول إنَّه يوجد شبه كبير بين اساليب عصر صدر الإسلام والعصر الاموي ، ويكاد ينحصر الفرق بينهما في اسلوبين ، الاول اسلوب نداء العين

---

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٣/٢ .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٥/٨ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الاموي: ١٨٠ .

(٣) المصدران أنفسهما .

(٤) الفتوح: ١٨٣/٧ .

بالبكاء على الشهداء ، ففي شعر صدر الإسلام وجدنا أنّ الشعراء قد اكثروا من استعمال هذا الاسلوب ، أمّا عند شعراء العصر الاموي فإن هذا الاسلوب يكاد يختفي إلا في ثلاث مرات ، في الاولى جاء فيها على نهج سلفهم ، أمّا في الثانية والثالثة فقد وردتا خلاف ما ورد عليه هذا الاسلوب عند شعراء صدر الإسلام ، الذين كانوا يستفتحون قصائدهم بهذا الاسلوب ، أمّا عند شعراء هذا العصر فإن هاتين المرتين اللتين استخدم فيهما هذا الاسلوب ، فقد كانتا في منتصف اشعارهم . وسبب هذا الفرق يمكن أن نعزوه ومن خلال ما تقدم الى أنّ اسلوب نداء العين بالبكاء كما ذكرنا هو اسلوب قد شاع عند شعراء ما قبل الإسلام ، وقد انتقل الى شعر صدر الإسلام بفعل الشعراء المخضرمين ، وهذا الاسلوب قد تأثر كما اوضحنا ايضا بتعاليم الدين الإسلامي ، لكنّ شعراء العصر الاموي الذين شهدوا ثقافات جديدة ، بفضل فتوحات الدولة الإسلامية الكثيرة ، قد وجدوا أنّ هذا الاسلوب قد اصبح قديماً وأنّه ليس من الضرورة التمسك به ، قياسا إلى ما ستجد عندهم [1] . أمّا الاسلوب الثاني وهو المحاورة التي يجريها الشاعر مع شخص ما، فلا نقول إنّ شعراء العصر الاموي قد انفردوا به ، بل هو قديم ومعروف ، لكن شعراء صدر الإسلام لم يتناولوه بصيغة مطولة كالتي عند يزيد ومالك .

وهذا التعليل وهذا التبيين الذي اوردناه لا يُنسينا سببا مهما ذا علاقة بهذا الفرق بين العصرين فيما يتعلق بموضوع البحث ، ألا وهو قلة ما وصل إلينا من شعر الشهادة والشهيد الخاص بالعصر الاموي .

(١) ينظر: الشعر الاموي دراسة في التقاليد والأصالة الأدبية: ٦٥ و٦٩ – ٧٠ ، د. محمد فتوح احمد .

المبحث الرابع

إقتباس الشعراء من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

القبس: (شُعلة من النَّـار يَقْبِسُها أي يأخذها من معظم النار) [1]، قـال تعـالى: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [2] ، ويقال: (أقْبَستُ الرجل علماً بالألف ، وقَبستُه نـاراً أقبسـه إذا جئته بها) [3] ، قال الكسائي: (وأقتبستُ منه علماً ونـاراً سـواء) [4] ، وفـي الحديـث الشريف قـال ﷺ : " مَنْ اقتبس علماً مـن النجـوم اقتبس شـعبة مـن السـحر " [5] ، (والقوابس الذين يُقبسون الناس الخير يعني يعلمون، وأتانا يقتبس العلـم فأقبسـناه أي علمناه) [6].

أمَّا في الاصطلاح: فهو أنْ (يُضمَّن الكلام شيئا مـن القـرآن أو الحديـث) [7] . فحاول شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي الإفادة من المعاني والأفكار التي تضمنتـها الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، ومحاولة تقليد أسلوبيهما فقـد كـان القـرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما زالا يمثلان الذروة العليا في البلاغة العربية . ونبـدأ أولا إقتباس الشعراء من (المنبع الأول والأخير للثقافة الإسلامية كلها ، لمـا أودع فيـه تعالى من كل ما يخص الدين والدنيا ، فهـو دسـتور الإسلام الخالد ، تتنـاول آياتـه

---

(١) يُنظر: تهذيب اللغة: ٤١٩/٨ (قبس) ، ويُنظر: مقاييس اللغة: ٤٨/٥ ، واللسـان: ٣٥١٠/٥ ، والقـاموس المحيـط: ٢٤٧/٢ .

(٢) سورة طه: الآية ١٠ .

(٣) تهذيب اللغة: ٤١٩/٨ ، ويُنظر: مقاييس اللغة: ٤٨/٥ ، واللسان: ٣٥١٠/٥ ، والقاموس المحيط: ٢٤٧/٢ .

(٤) اللسان: ٣٥١٠/٥ .

(٥) سنن ابي داود: ١٥/٤ .

(٦) اللسان: ٣٥١١/٥ .

(٧) الايضاح في علوم البلاغة: ٤١٦/٢ ، ويُنظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: ٤١٦ ، للعلامة شرف الدين الحسيني ، تحقيق د. هادي عطية مطر ، و انوار الربيع في انواع البديع: ٢١٧/٢ ، للسيد علي صدر الدين المدني ، تحقيـق شـاكر هادي شكر ، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٣٣٥ ، للسيد احمد الهاشمي .

كل المجـــالات وتتعرض لكل الموضوعات) [١]، (وليس المقصود بالاقتباس من القـرآن تقليده في طريقـــة معالجته لموضوعاته ، فالغرض الديني الواضح والأصيل في القـرآن ، هو الذي يحكم موضوعاته وتوجيهاته وتعبيراته ، لكنه – مع وفائـــه بـــالغرض الدينـــي كاملاً – يحمل خصائص فنية تصل إلى حد الإبداع والإعجاز وذلك إلى جـــانب المفـــاهيم التي يعرضها عن الكون والحياة والإنسان . وحين نحاول الإفادة من القرآن في مجـــال الفن ، فسنلجأ إلى الناحيتين معاً: المفاهيم وطرائق الأداء . ولكـــن لا لتقليدهـــا ، وإنمـــا لالتقـــاء " التوجيـــه " الذي نحمله ، والنسج على منواله فيما نُنشئ مـــن الفنـــون) [٢] ، والشعر الإسلامي في مقدمة هذه الفنون [٣] ، ونستطيع تقسيم الاقتباس على أربعة أنـــواع هي[٤]:

النوع الأول: اقتباس الآيات القرآنية مع تحوير بسيط أو كبير في تركيب الجمل وترتيبـــها محافظة على الوزن وانسجاميا مع القافية .

النوع الثاني: اقتباس المعنى أو الفكرة التي وردت في آيات القرآن الكريم .

النوع الثالث: أن يكتفي الشاعر باقتباس إشارة توحي للقارئ اللبيب بآية أو أكثر من آيـــات القرآن الكريم .

النوع الرابع: وهو أنْ يقتبس الشاعر الآية نفسيا ، ويضمنها شعره ، بلا تغيير أو تبديـل ، وهو قليل ، لأنّ الالتزام به صعب ، وربما لا يســـتقيم تطبيقـــه مـــع وزن الشعر أو قافيته .

وأغلب اقتباسات شعراء المسلمين كانت قائمة على أخذ المعنى أو الفكـــرة التـــي تضمنتها الآيات الكريمة أو الأحاديث النبوية الشريفة ، ولا نجد في اقتباساتهم عبارة قـــال

---

(١) منابع الثقافية في الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ٨٥ ، رسالة دكتوراه كلية الآداب ، بغداد ، عباس محمد رضا ، ١٩٩١ .

(٢) منهج الفن الإسلامي: ٢٠٩ ، محمد قطب .

(٣) انظر: الإسلام والشعر: ٢٢٤ ، د. سامي مكي العاني

(٤) المصدر نفسه: ٢٢٥ – ٢٣١ .

تعالى أو نحوه ، لأنهم إنْ فعلوا ذلك فقد خالفوا مفهوم الاقتباس القائم على اخذ المعاني والأفكار فقط [1] .

قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [2]. فهذا الجزاء العادل الذي حكم به رب العزة والجلال بين المؤمنين والكافرين ، أفاد منه كعب بن مالك في موازنة أجراها بين شهداء المسلمين وقتلى الكافرين ، فجعل الخلود في النعيم جزاءً لشهداء المسلمين ، والثواء في الجحيم مصير الكافرين ، فقال [3]:

شتّان مَنْ هو في جهنَّم ثاويا أبداً ومَنْ هو في الجنان مُخلّدُ

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [4] . كانت هذه الآية الكريمة غذاءً روحياً لخُبيب بن عدي يوم أنْ أجمعوا على قتله ، فغذته بالصبر والثبات على دين الله تعالى ، لأنه أدرك أنَّ مصيره إلى الله تعالى ومصير كل حي ، وهو الذي يُجازي العباد كلاً حسب عمله [5]، فقال [6]:

فو الله ما أرجو إذا مِتُّ مُسلماً على أي جَنْبٍ كانَ في الله مَصْرَعِي

---

(١) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن وبهامشه إعجاز القرآن: ١١٣/١ ، لجلال الدين السيوطي .

(٢) سورة البقرة: الآية ٨١ – ٨٢ .

(٣) ديوانه: ١٦١ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٦ .

(٥) يُنظر: هذا المعنى أي مصير الرجوع إلى تعالى في السور الكريمة الآتية: المائدة: ٤٨ و ١٠٥ ، ويونس: ٥٦ ، وهود: ٤ و ٣٤ ، والقصص: ٧٠ و ٨٨ ، والعنكبوت: ١٧ ، والروم: ١١ ، ويس: ٢٢ و ٨٣ ، والزمر: ٤٤ ، وفُصّلت: ٢١ ، والزخرف: ٨٥ .

(٦) السيرة النبوية: ١٨٦/٣ ، والإستيعاب: ٤٤١/٢ ، وأسد الغابة: ١٢٢/٢ ، ونهاية الارب: ١٣٦/١٧ ، والبداية والنهاية: ٦٠/٤ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والراشدين: ٧٥ ، حياة الصحابة: ٥٤١/١ – ٥٤٢

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ للعدو تَخَشُّعاً ولا جَزْعاً إنّي إلى الله مَرجِعِي

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١) .

كانت لهذه المنزلة العظيمة والرحمة الكريمة أثرها في شعر حسان بن ثابت حين دعا لشهداء الرجيع ، فقال (٢):

صَلّى الإلهُ عَلى الذين تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فأُكرِمُوا وأُثيبُوا

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٣).

استجاب المجاهد المقدام الشهيد عُمير بن الحمام لهذه الموعظة العظيمة ، فجعل خير زاده من هذه الحياة الدنيا التقوى والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله تعالى ، وذلك يوم أن استجاب لنداء الرسول ﷺ وهو يُرغبهم في طلب الشهادة يوم بدر ، فمضى يرتجز قائلاً (٤):

رَكْضاً إلى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ إلاَّ التُّقَى وَعَمَلَ المَعَادِ

وَالصَّبر في اللهِ عَلى الجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةَ النَّفَادِ

غيرَ التُّقَى وَالبِرِّ والرَّشَادِ

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٧ .

(٢) ديوانه: ١٧٩ .

(٣) سورة البقرة: من الآية ١٩٧ .

(٤) تاريخ الطبري: ٢/٢٨ ، الأغاني: ٤/١٩٥ ، الاستيعاب: ٣ ١٢١٥ ، وينظر: أسد الغابة. ٤/٢٩١ . البداية والنهاية: ٣/٢٧٧ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٨ .

يؤكد لنا رب العزة والجلال في قوله الكريم هذا أنَّ غاية المجاهدين من جهادهم لأعداء الإسلام واستشهادهم في سبيل ذلك إنما يرجون رضاه ورحمته ومغفرته ، وهذا ما أكده كعب بن مالك بحق حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، فقال [1]:

يُرِيْدُ بِذَاكَ رِضَا أَحْمَدَ رِضْوَانَ ذِي العَرْشِ وَالعِزَّة

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [2] .

أفاد حسان بن ثابت من هذه الآية الكريمة في رثائهِ لخليفة المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ليؤكد تلاوته لآيات الله البينات ، ووجه الفائدة الذي استقاه حسان من هذه الآية الكريمة أنّه اقتبس كلمة (محكمات) ، فقال [3]:

فَجَّعَنَا فَيروز ، لا درَّ درُّهُ بِأَبْيَضَ يَتْلُوُ المُحْكَمَاتِ مُنيب

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [5] .

إنَّ هذه الجنان الواسعة والعريضة ، والتي وسعت السموات والأرض كانت وسيلة نجم بن مفرج لكي يرغب بها المجاهدين على الإقدام والفوز بالشهادة وذلك يوم اليرموك

---

(١) ديوانه: ١٧٥ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٧ .

(٣) ديوانه: ٢٧٣ .

(٤) سورة آل عمران: ١٣٣ .

(٥) سورة الحديد: الآية ٢١ .

ونلمس ذلك في الشطر الأول من بيته الآتي ، فقال [1]:

وَلله في عَرْضِ السَّمَواتُ جَنَّـــةٌ وَلكِنَّهَـــا مَحْفُوْفَةٌ بِالمَكَارِه

قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [2].

دلت هذه الآية الكريمة على أجر الشهداء بدخولهم الجنة التي أعدَّ الله تعالى لهم من الأجر العظيم ، فهم في راحة دائمة أبدية ، وهذه الراحة – راحة الشهادة – أثبتها حسان لأُمامة التي جاءت تسأل عن قبر أبيها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال [3] :

فَقُلْتُ لَهَا إنَّ الشَّهادَةَ راحَـــةٌ ورِضوانُ ربٍّ يا أُمَـــامَ غَفُـورِ

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ [4] .

جعل الله تعالى مرتبة الشهداء بعد النبيين والصديقين ، أي في المرتبة الثالثة ومن بعد الصالحين ، فهم رُفقاء في الجنة ، وهذه الرفقة الصالحة أكدها حسان بن ثابت بحق خبيب بن عدي الذي قُتِلَ شهيداً ، فقال [5] :

فَاذهَبْ خُبَيْبُ جزاك الله طَيِّبَةً وجَنَّةَ الخُلدِ عند الحور في الرُّفُقِ

قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [6] ، وقال تعالى:

---

(١) فتوح الشام: ٢٠٣/١ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية١٩٥ .

(٣) ديوانه : ١٣٣ .

(٤) سورة النساء: الآية ٦٩ .

(٥) ديوانه: ٢١٣ .

(٦) سورة النساء: الآية ٧٤ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

إنَّ هذه الدعوة الكريمة والتجارة الرابحة التي دعا إليها رب العزة والجلال عباده المؤمنين المجاهدين لكي يجودوا بأنفسهم في سبيله تعالى مُقبلين غير مدبرين ، كان لها أثرها في ذهن المجاهد عروة بن زيد الخيل ، لأنه أحب الشهادة وعرف أنها تجارة رابحة ، فشغل نفسه بالجهاد وأصبح همه الوحيد في هذه الحياة لأنه طريقه إلى الشهادة ، فقال(٢) :

وَأَصْبَحَ هَمِّي فِي الجِهَادِ وَنِيَّتِي ... فَلِلَّهِ نَفْسٌ أَدْبَرَتْ وَتَوَلَّتْ

فَلا ثَرْوَةَ الدُّنيا تُرِيدُ اكتِسَابَهَا ... ألا إنَّها عَنْ وفْرِهَا قَدْ تَجَلَّتْ

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٣) .

إنَّ هذا المصير السحيق والمظلم الذي أعدَّه الله تعالى للمنافقين من هذه الأُمة قد استوعبه كعب بن مالك وجعله مصير قتلى الكافرين يوم أحد ، فقال (٤):

أُولَئِكَ لا مَنْ ثَوَى مِنْكُمْ ... مِنَ النَّارِ فِي الدَّرْكِ المرتَجِ

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥)، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٦) ، وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرض وَلا فِي أَنفُسِكُمْ

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١ .

(٢) الاخبار الطوال: ١٤٧ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٥ .

(٤) ديوانه: ١٥٨ .

(٥) سورة المائدة: من الآية ١٧

(٦) سورة المائدة: من الآية ١٨ ، وينظر: كذلك الآيتين ٤٠ و١٢٠ .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) ، وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

اقتبس حسان بن ثابت ﷺ من هذه الآيات المباركات معنيين مهمين ، فقد أثبتت الآيتان الأولى والثانية ملكية الله تعالى للسموات والأرض وما بينهما،وأثبتت الآيتان الباقيتان حتمية وقوع قضاء الله تعالى الذي لا مرد لوقوعه ، فاثبت المعنى الأول في الشطر الأول ، وفي الشطر الثاني اثبت المعنى الثاني فقال (٣):

ونَعلمُ أَنَّ المُلكَ لله وَحْدَهُ وأَنَّ قضاءَ اللهِ لابُدَّ واقِعُ

قال تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٥).

يُخبرنا رب العالمين في هذه الآية الكريمة صفة مهمة من صفات المؤمنين ، فهم اسودٌ أبطال على الكافرين ، ورحماء كرماء على إخوانهم المسلمين ، فخير من اتصف بهذه الصفة هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، فهذا حسان بن ثابت يقتبس هذه الصفة من هذا القول الكريم ويجعليا صفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال (٦):

رَؤُوفٍ عَلى الأدْنَى غَلِيْظٌ عَلى العِدَى أخي ثِقَةٍ في النائِبَاتِ نجيبِ

ومما يؤكد أيضا اتصاف الفاروق بهذه الصفة ما أجاب به أحد أسرى المسلمين ابنة الرجل الذي أخذه أسيرا إلى منزله ، فعندما سمعته يتلو الآية الكريمة الثانية وعندما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ سألته عن معنى هذه الكلمات ومن المقصود بها ، فقال : هو صاحب هذه الفتوح ومجهز هذه الجيوش عمر بن

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٢ .

(٢) سورة التغابن: الآية ١١ .

(٣) ديوانه : ٢٦٧ .

(٤) سورة المائدة: من الآية ٥٤ .

(٥) سورة الفتح: من الآية ٢٩ .

(٦) ديوانه: ٢٧٣ .

الخطاب ﷺ [1] قال تعالى: ﴿ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [2] ، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [3] .

اقتبس كعب بن مالك من هاتين الآيتين معنيين مهمين ذوي صلةٍ بعقيدة المؤمن فالآية الأولى أثبتت وحدانية الله تعالى ونفت عنه أنْ يكون له شريك ، وهذا الركن المهم الذي إقتبسه كعب نجده في الشطر الأول من قوله الاتي ، أمَّا الشطر الثاني فقد أكد فيه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين فهو مولاهم وناصرهم وهذا المعنى أخذه من الآية الكريمة الثانية ، فقال [4]:

بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَأَنَّ اللهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [5] .

الموت حق على كل إنسان ، فإذا ما جاء أحدهم فانه لا يتقدم ولا يتأخر عن موعده فعلم حسان بن ثابت أنَّ استشهاد أصحاب معونة إنما كان قدرهم وأجلهم الذي لاقاهم وهو حق أمن به ، فقال [6]:

على قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّي بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحّاً غَيْرَ نَزْرْ

على خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لاقَوا مَنَايَاهُمْ وَلاقَتْهُمْ بِقَدْرْ

(١) يُنظر: فتوح الشام: ٢/١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٣ .

(٣) سورة محمد: الآية ١١ .

(٤) ديوانه: ٢١٦ .

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٤ .

(٦) ديوانه: ٢٠٧ .

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

إنَّ هذا النعيم الخالد والدائم في جنات الخلد ، الذي أعده للشهداء ، نرى كعب بن مالك قد استوحاه من هذه الآيات المباركات وأثبته جزاءً لحمزة بن عبد المطلب فقال (٢):

أَبَا يَعْلَى لَكَ الأَرْكَانُ هُدَّتْ ... وَأَنْتَ الماجِدُ البَرُّ الوَصُولُ

عَلَيْكَ سَلامُ رَبِّكَ في جِنَانٍ ... مَخَالِطُهَا نَعِيمٌ لا يَزُولُ

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

إنَّ ما يُصيب الإنسان في حياته اليومية هو قدر الله تعالى ، والمسلم المؤمن يدرك أهمية الإيمان بقدر الله تعالى خيره وشره لأنه بأمر الله تعالى ، فحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ مؤمن بذلك ونلمح هذا الإيمان في رثائه أصحاب الرجيع ، فهو مؤمن بان استشهادهم قدر الله المكتوب ، فقال (٤) :

صَلَّى الإلهُ على الذينَ تَتَابَعُوا ... يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكرِمُوا وأُثِيبُوا

رأسُ الكتيبةِ مَرْثَدٌ وأميرُهم ... إبنُ البُكيرِ إمامَهُم وخُبيبُ

والعاصِمُ المقتولُ عِنْدَ رجيعِهم ... كسَبَ المعالي إنَّهُ لكسُوبُ

مَنَعَ المقاذِفَ أن ينالوا ظَهْرَهُ ... حتى يُجالِدَ إنَّهُ لَنَجِيبُ

وابنُ لطارقَ وَابنُ دَثْنَةَ فيهم ... وافاه ثَمَّ حِمامُهُ المكتوبُ

---

(١) سورة التوبة: الآيات ٢٠ – ٢١ – ٢٢ .

(٢) ديوانه: ٢٠٠ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٥١ .

(٤) ديوانه: ١٧٩ .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (١) ، وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (٣) .

كانت هذه الآيات المباركات معين كعب بن مالك في رثائه شهداء أحد ، فاقتبس قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ وجعله في صدر البيت الأول من قوله الآتي ليثبت أنّ جنان النعيم هي جزاء شهداء المسلمين ، واقتبس قوله تعالى: ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ في صدر البيت الثاني من قوله الآتي ليثبت صبر هؤلاء الشهداء في جهادهم الأعداء ، فقال (٤):

وَقَتْلاهُمْ فِي جِنَانِ النَّعِيمِ كِرَامِ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ

بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الأَضْوَجِ

قال تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ (٧).

في هذه الآيات المباركات نرى فيها مصير الكافرين في سعير الجحيم وما رزقهم فيها إلّا الصديد ، فنجد هذا المعنى الذي حوته هذه الآيات قد اقتبسه الإمام علي عليه السلام ، في شعره الذي رد به على هند بنت عتبة التي شمتت باستشهاد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام وجعله – أي المعنى الذي اقتبسه – مصير قتلى الكافرين ،

---

(١) سورة يونس: الآية ٩ .

(٢) سورة الحج: الآية ٥٦، وينظر: كذلك سورة لقمان: ٨، والصافات: ٤٣ ، والواقعة: ١٢، والقلم: ٣٤

(٣) سورة الانسان: الآية ١٢ .

(٤) ديوانه: ١٥٧ .

(٥) سورة ابراهيم: الآية ١٦ .

(٦) سورة النازعات: الآية ٣٦

(٧) سورة المطففين: الآية ١٦

فقال [1]:

فَبَـــوِّئي من جَهَنَّـــم شـــرَّ دارٍ عَلَيها لَمْ يَجدْ عَنْهَا مُحِيدَا
وَمَـــا سَيَانَ من هـــو في جَحيـــمٍ يَكونُ شَرابهُ فيها صَدِيْدَا
وَمَنْ هـــو في الجِنَـــانِ يـــدرٌ فيها عَليه الرِّزقُ مُغْتَبِطاً حَمِيْدَا

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ﴾ [2] ، وقـــال تعـــالـــى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [3].

إنَّ حشرَ المتقين غير حشر الكافرين ، فحشر الكافرين ينتهي بمصير اليم وعـــذاب شديد ، أما حشر المتقين فنهايته فرح وسرور ، إذ يدخلون الجنة التي أورثهم إياها تبـــارك وتعالى وفوداً كثيرة ، وهذا المعنى نجده في شعر حسان بن ثابت الذي رثى بـــه الشـــهيد سعد بن معاذ ، الذي قُتِلَ في سبيل الله تعالى فورث جنته مع وفود الشهداء الكريمـــــة ، فقال [4]:

على مِلَّةِ الرَّحمنِ وارثِ جنَّـــةٍ مع الشُّهَداءِ وَفْدُهَا أكرَمُ الوَفْدِ

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ [5] ، وقال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً ﴾ [6].

من هاتين الآيتين الكريمتين اقتبس كعب بن مالك سلام الله وتحيته على أصحـــاب الجنة وهم في النعيم مخلدون ، ليجعل سلامه تبارك وتعالى على حمزة في جنان الخلد ،

---

(١) ديوانه : ٧١ .
(٢) سورة مريم: الآية ٨٥ .
(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٠ – ١١ .
(٤) ديوانه: ٤١٥ .
(٥) سورة الفرقان: الآية ٧٥ .
(٦) سورة الأحزاب: الآية ٤٤ .

فقال [1]:

عَلَيْكَ سَلامُ رَبِّكَ في جِنَانٍ مَخَالِطُهَا نَعِيمٌ لا يَزُولُ

قال تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [2].

نزلت هذه الآية الكريمة في حق أصحاب رسول الله ﷺ الذين صدقوا مع الله تعالى ورسوله الكريم في جهاد الأعداء، فما زالوا يقاتلون حتى نالوا الشهادة في سبيله تعالى بصدق وثبات [3]، وهذه المعنى العظيم نجد حسان بن ثابت قد اقتبسه في رثائه شهداء المسلمين، فقال [4]:

دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُمُ مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ

فَمَا بَدَّلُوا حَتَّى تَوافَوا جَمَاعَةً وَلا يَقْطَعُ الآجَالَ إِلا المَصَارِعُ

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [6].

من هاتين الآيتين المباركتين اقتبس المجاهد الشهيد عامر بن الاكوع معاني نشيده الجهادي الذي انشده وهو جندي في جيش رسول الله ﷺ المنطلق إلى غزوة

---

(١) ديوانه: ٢٠٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٣) يُنظر: أسباب النزول: ٢٣٧ – ٢٣٩، للنيسابوري.

(٤) ديوانه: ٢٦٧.

(٥) سورة الفتح: من الآية ٤.

(٦) سورة البقرة: من الآية ٢٥٠.

خيبـــر ، فقال [1] :

فَأَنْزِلَنَّ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الإقدام إنْ لاقَينَا

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [2].

يخبرنا رب العزة والجلال أنَّ ما ينطق به الرسول الكريم ﷺ لا يأتي به عن هوى نفسه ورأيه ، بل إنَّ ما ينطق به هو مُوحى إليه من الله تعالى عن طريق جبريل عليه السلام [3] وهذه المنزلة العظيمة نجد أنَّ كعب بن مالك اقتبسها في شعره الذي رثى به حمزة بن عبد المطلب ، فقال [4]:

رَسُولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيـــمٌ بِأَمْرِ اللهِ يَنْطِقُ إذ يَقُـــولُ

قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [5] وقال تعـــالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [6] وقـــال تعـــالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [7] . من هذه الآيات الكريمات التي وصفت نعيم الجنة الدائم ، نجد حسان بـــن ثابت قد أكد هذا النعيم بحق شهداء مؤتة ، فقال [8]:

فَصارَ مع المُسْتَشْهَدِينَ ثوابُهُ جِنانٌ وملتفُّ الحدائِقِ أخضرُ

قـــال تعـــالى: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [9] خلق الله تعالى الملائكة وجعلهم لخدمته كل حسب واجبه المكلف به ، فـــيناك

---

(١) سيرة النبوية: ٣/٣٤٢ ، وطبقات ابن سعد: ٢/١١١ ، والإستيعاب: ٢/٧٨٦ ، والمنتظم: ٢/٨١٥ ، أُســـد الغابـــة: ٣/١٢٥ ، عيون الأثر: ٢/١٦٩ ، ويُنظر: البداية والنهاية: ٤/١٨٢ .

(٢) سورة النجم: ٣ – ٤ .

(٣) يُنظر: روائع البيان لمعاني القرآن: ٥٢٦ .

(٤) ديوانه: ٢٠٠ ، ونســـب إلى عبد الله بن رواحة ، يُنظر: ديوانه: ٩٨ .

(٥) سورة الرحمن: الآية ٤٦ .

(٦) سورة النبأ: الآية ٣٢ .

(٧) سورة الرحمن: الآية ٧٦ .

(٨) ديوانه: ٩٨ .

(٩) سورة الحاقة: الآية ١٧ .

ملائكة على جوانب السموات وحافاتها [1] ، وقسم منهم يحمل العرش (عرش الرحمن) وهؤلاء الذين في أفق السموات نرى حسان بن ثابت قد اقتبس وجودهم وجعلهم في شعره شهوداً ، يشهدون يوم القيامة على غدر هذيل بخُبيب بن عدي الذين قتلوه غدراً فسقط شهيداً ، فقال [2]:

ماذا تَقُولُونَ إنْ قَـالَ النبيُّ لكم حينَ الملائِكَـةُ الأَبـرارُ في الأُفُقِ

قال تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [3] ، وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [4] من هذه الآيات الكريمات اقتبس حسان بن ثابت قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ في شعره الذي رثى به حمزة بن عبد المطلب ﷺ فقال [5]:

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ في جَنَّـةٍ عَـالِيَـةٍ مُكرَمَـةِ الدَّاخِـلِ

فنحن نلاحظ ومن خلال ما تقدم كثرة اقتباسات شعراء صدر الإسلام من القران الكريم . أمّا شعراء العصر الأموي فهم أيضا قد اقتبسوا من القران الكريم ما ينفعهم في إثبات ما يُريدونه في أشعارهم ، لكن اقتباساتهم كانت أقل من اقتباسات شعراء صدر الإسلام ، فهناك إذاً فرق بينهما ، وهذا الفرق يمكن أنْ نُرجع سببه إلى أنّ أغلب إقتباسات شعراء صدر الإسلام كانت لغرض إثبات الحقائق وردع الخصوم المشركين ، فمثلا وجدنا قسما من الشعراء قد اقتبسوا من آيات كثيرة تحدثت عن أجر الشهداء وثوابهم عند الله تعالى ، وكذلك تحدثت عن وصف الجنان ذات النعيم الخالد ، فمن هذه الآيات الكثيرة اثبتوا في أشعارهم أجر الشهداء وثوابهم ، وما أعده الله تعالى لهم من جنات ونعيم دائم ، وبهذه الأشعار أثبتوا لأعدائهم المشركين أنّ قتلاهم شهداء ، وأن جزاءهم الجنة ، فذكروا لهم من أوصافها ونعيمها ، كما وجدنا قسما آخر من الشعراء متأثراً بالآيات القرآنية

---

(١) يُنظر: روائع البيان لمعاني القرآن: ٥٦٧ .

(٢) ديوانه : ٢١٣ .

(٣) سورة الحاقة: الآيتين ٢١ و ٢٢ .

(٤) سورة الغاشية: الآيات ٨ و ١٠ و ١١ .

(٥) ديوانه: ٣٢١ .

الكريمة التي بينت ضلال الكافرين ، وأنهم على طريق الهلاك ، ومن قُبِلَ منهم فمصيره إلى عذاب الجحيم ، حيث نار جهنم وبئس المصير ، فأفادوا من هذه الآيات ما يفيدهم في ردع خصومهم الكافرين وإعلامهم أنهم في ضلال مبين . فاغلب إقتباساتهم دارت حول هذه المعاني التي تطلبتها ظروف عصرهم الذي شهد صراعاً عنيفاً جاهدوا فيه بالسيف واللسان .

أمّا قلة الإقتباس عند شعراء العصر الأموي فيما يخص الشهادة والشهيد ، فهو لا يعني عدم الاهتمام بهذا المنبع الثقافي العظيم واستغناءهم عنه ، بل نجدهم أكثر الشعراء إقتباسا من القران الكريم في اتجاهات أخرى للشعر ، أبرزها الشعر الديني ، لكن قلة الاقتباس في شعر الشهادة والشهيد ، يمكن أنْ نرجعه إلى وضع الدولة الإسلامية في العصر الأموي ، التي استقرت واتسعت وقويت ، ولم يكن أعداؤها عرباً مشركين وهم قلة مستضعفون ، بل أصبح عدوهم كثرة ضعيفة ، وهم أصبحوا قوة ساحقة ، فعدوهم الجديد الرومي أو الفارسي لا يحتاج إلى ردع باللسان ، لان هذا السلاح لا يفهمه ولا يُجدي معه نفعاً ، بل كان السيف هو السلاح الفاعل والحسام مع هذا العدو الذي رغَّبه المسلمون .

وبعد هذا التعليل حول الفرق بين إقتباس العصرين ، نورد أهم الإقتباسات التي اهتدينا إليها من خلال شعرهم الخاص بموضوع دراستنا .

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢) وقال أيضا: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣) .

تؤكد هذه الآيات الكريمات وغيرها كثير في القران الكريم ، أنّ الهلاك والموت والفناء هو مصير كل حي والإنسان على وجه الخصوص ؛ لأنه تعالى خلقه لعبادته ، وهذا المصير المحتوم لا يتحدد بعمر ولا بجنس ، بل الصغار والكبار ، والرجال والنساء ، وهذا المصير المحتوم نجده ختام مرثية زرارة بن حرب لابنه عبد العزيز الذي

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٨٥ ، وينظر: المعنى نفسه في الانبياء: ٣٥ ، والعنكبوت: ٥٧ ، والسجدة: ١١

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٦ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٠ .

استشهد في قتاله الروم ، فهو يؤكد أنَّ الكأس الذي شرب منه ابنه وهو الموت ، سوف يشرب منه كل الناس ، سواء كان صغيراً أم كبيراً ، قال [1]:

فَكُلُّ فَتَى شَارِبٌ كَأسَهُ فَإمَّا صَغِيرًا وإمَّا كبيرا

قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [2] وقال أيضا: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [3] وقال: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ [4].

من خلال هذه الآيات المباركات يخبرنا رب العزة والجلال أننا جميعا في قبضته ، فلا مفر لنا من الموت ، سواء بعدنا أم اقتربنا ، فالموت سوف يصل إلينا حتى ولو كنا في بروج مشيدة فأفاد مالك بن الريب من هذه الآيات في رده على ابنته التي طلبت منه البقاء وعدم الذهاب إلى الجهاد خوفا عليه من الموت ، فأجابها قائلا: أنا في قبضة الإله ، والموت مصيري وحتمي سواء كنت منك قريباً ، أم بعيدا ، فقال [5]:

أنَا فِي قَبْضَةِ الإله إذا كُنْتُ (م) بَعِيدًا أو كُنْتُ مِنْكِ قَرِيبَا

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [6] وقال أيضا: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [7] .

في هاتين الآيتين يدعو الله تعالى عباده المؤمنين إلى الجنة ، فدار السلام هي الجنة [8]، فهو يُرغبهم بما عنده ، فاستوحى بشر بن مطر الازدي هذه الدعوة ورغب فيها

---

(١) تاريخ ابن عساكر : ٥/٣٧٤ .

(٢) سورة النساء: من الآية ٧٨ .

(٣) سورة السجدة: الآية ١١ .

(٤) سورة الجمعة: من الآية ٨ .

(٥) شعراء أُمويون: ق١/٢٥ .

(٦) سورة الأنعام: من الآية ١٢٧ .

(٧) سورة يونس: الآية ٢٥ .

(٨) يُنظر: روائع البيان لمعاني القرآن: ١٤٤ – ٢١١ .

رفاقه المجاهدين وقال لهم اصبروا على جهاد الأعداء حتى تدخلوا ساحة السلام ، فقال [1]:

صَبراً لِهذا يا بني الكِرَامِ حَتى تَحِلُّوا سَاحةَ السَّلامِ

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [2] .

في هذه الآية الكريمة يصف لنا المولى ﷻ إيمان يعقوب وثباته عندما فقد ابنه يوسف "عليهما السلام" فهو لا يشكو همه وحزنه إلى أحد سوى الله تعالى ، لأنه هو القادر على إجلاء هذا الهم والحزن ، فكانت هذه الآية علاجاً روحيا للشمردل الذي فقد أخاه وائلاً ، فصبر واحتسب وشكا إلى الله تعالى فقده فقال [3]:

إلى الله أشْكُو لا إلى النَّاسِ فَقْدَهُ ولَوعَةَ حُزنٍ أوجَعَ القَلبَ دَاخِلُه

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً ﴾ [4]. وقال أيضا: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [5]. وقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [6]. وقال: ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [7] .

يخبرنا المولى ﷻ عن الأجر العظيم الذي جازى به عباده المؤمنين الصادقين ، إذ جعل الغرفة (وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها) [8] جزاءً لهم ، فأخذ الفرزدق هذا

(١) الفتوح: ٨/١٨٠ .

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٦ .

(٣) شعراء أمويون: ق٢/٥٤١ .

(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٥ .

(٥) سورة الزمر: من الآية ٢٠ .

(٦) سورة العنكبوت: الآية ٥٨ .

(٧) سورة سبأ: من الآية ٣٧ .

(٨) روائع البيان لمعاني القرآن: ٣٦٦ .

الجزاء العظيم وأكده بحق الجراح بن عبد الله الحكمي ، إذ جعله رفيق المصطفى ﷺ في تلك الغرفة ، فقال [1]:

رَفيقُ نبيِّ الله في الغُرْفَةِ التي ... إليها انْتَهى مِن عَيْشِهِ كُلُّ ناعِمِ

وقال [2]:

فَأصْبَحَ في القَومِ الذين محمدٌ ... أخُوهُم ومَن يَلْحَقْ بِهِمُ فَهُوَ سَالِمُ

جُزُوا بالسَّرِيرَاتِ التي في قُلُوبِهِم ... جَزاهُم بها مُحْصِي السَّرائِرِ عالِمُ

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3] .

تُبين لنا هذه الآية العظيمة قدرة المولى ﷻ عندما يقبض الأرواح من الأبدان عند انتهاء آجالها ، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ، ولم يحضر أجلها ، فهو يتوفاها في منامها فقط ويمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت فلا يردها إلى البدن ، ويُرسل الأخرى إلى بدنها عند اليقظة [4] ، تأثر الفرزدق بهذه الآية الكريمة وأيقن أنَّ نفس ابن أخيه محمد لن تُرسل ثانية إلى جسده ، لأنها من التي قضى على صاحبها الموت ، فقال [5]:

فَهَلْ تَرْجِعُ النَّفْسَ التي تَفَرَّقَتْ ... حَياةُ صَدى تَحْتَ القُبور عِظَامُهَا

وَلَيسَ بمحبوسٍ عن النَّفْسِ مُرسَلٌ ... إليها إذا نفسٌ أتاها حِمامُها

قال تعالى: ﴿ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [6].

---

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٨٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٨٠٦ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٤٢ .

(٤) يُنظر: روائع البيان لمعاني القرآن: ٤٦٣ .

(٥) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٥٣ .

(٦) سورة الطور: الآية ٨ .

إذا ما قضى رب العزة والجلال أمراً فإنه يكون بلمح البصر ، ولا راد لحكمه أو لقضائه إلاَّ أنْ يأمر هو بذلك تبارك وتعالى ، فتأثر ابن عرس العبدي بهذا المعنى العظيم فأثبته في شعره الذي رثى به أسد بن عبد الله ، إذ أكدَّ أن موته هو قضاء الله تعالى ، وما لهذا القضاء من دافع ، فقال [1]:

بِبَلخٍ وافقَ المقدارُ يَسْرِي وَما لقضاءِ ربّك من دفاعِ

هذا أهم ما اهتدينا إليه من إقتباسات شعراء هذا العصر فيما يخص شعر الشهادة والشهيد .

أمّا المنبع الثاني الذي اقتبس منه الشعراء المسلمون ، فهو حديث من لا ينطق عن الهوى ، إنه حديث نبينا محمد ﷺ الذي أُوتي جوامع الكلم [2]، (وتأتى له من أحكام المنطق وامتلائه ، وروعة الفصاحة وصفاء الأداء ، ما جعله مُنزهاً عن النقص الذي يعتور الفصحاء أحياناً من ضعف في الأحكام الصوتي والسلاسة المنطقية) [3]، ومثلما تنوع الشعراء في إقتباسهم من القران الكريم ، تنوعوا من الحديث النبوي الشريف ، فكان إقتباسهم منه على ثلاثة أنواع [4]:

النوع الأول: إقتباس نص الحديث مع التغيير في بعض ألفاظه أو تراكيبه ، محافظة على وزن الشعر وقافيته .

النوع الثاني: اختصار كلمات الحديث الشريف بألفاظ قليلة تناسب طبيعة الشعر من دون أن تُخل بالمعنى ، أو يرمز الشاعر إلى الحديث بإشارة سريعة .

النوع الثالث: إقتباس نص الحديث الشريف كما هو دون أي تغيير في ألفاظه أو تراكيبه ، وهذا النوع صعب التحقيق .

---

(١) تاريخ الطبري: ٢٤٨/٨ .

(٢) صحيح ابن حبان : ١٩٧/١٢ .

(٣) يُنظر: تاريخ آداب العرب: ٢٩٧/٢ ، مصطفى صادق الرافعي ، الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: ٦٢ ، د. محمد ضاري حمادي .

(٤) يُنظر: الإسلام والشعر: ٢٣٢ – ٢٣٥ ، د. سامي مكي العاني .

ومثلما تعاملوا مع القران الكريم نراهم قد اتبعوا النهج نفسه في إقتباسهم من الحديث الشريف ، فجميع إقتباساتهم كانت قائمة على استيعاب المعاني والأفكار التي حوتها هذه الأحاديث النبوية الشريفة .

قال رسول الله ﷺ يصف شجاعة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه " والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله في السماء السابعة حمزة أسد الله وأسد رسوله " (١) .

فاقتبس الشعراء هذا الوصف في أشعارهم ، ليؤكدوا به شجاعة حمزة ، فهذا حسان ابن ثابت يقول (٢):

على أسد الله الذي كان مِدْرَها يَذُودُ عَنِ الإسلام كُلَّ كَفُورِ

واقتبس الوصف نفسه كعب بن مالك فقال مخاطبا أخته صفية (٣):

ولا تسأمي أن تُطيلي البُكا على أسدِ الله في الهِزَّةِ

وكذلك وصفه عبد الله بن رواحة ، فقال (٤):

على أسد الإله غداةَ قالوا أحمزةُ ذاكم الرَّجُلُ القتيلُ ؟

وهذا الوصف أثبته أيضا أبو الحكم بن سعيد بن يربوع عند ما عزّى أخته نُعم التي استشهد زوجها شماس ، فقال (٥):

قَدْ كَانَ حَمْزَةَ لَيْثُ الله فَاصْطَبِرِي فَذَاقَ يَومَئذٍ مِن كَأسِ شَمَّاسِ

وفي يوم بدر سمع أحد الصحابة صوتا في السماء يقول: (أقدم حيزوم) ، فقال رسول الله ﷺ :" ذلك جبريل " (٦)، وقال رسول الله ﷺ : " ما رُؤيَ الشَّيطانُ يوماً هو فيه أصغرُ ولا أدحَرُ ولا أغيظُ منه في يوم عرفة وما ذاك إلاَّ لِمَا رأى مِنْ تَنَزُّلِ

(١) المستدرك: ٢١٩/٣ ، مجمع الزوائد: ٢٦٨/٩ .

(٢) ديوانه: ١٣٤ .

(٣) ديوانه: ١٧٥ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

(٥) السيرة النبوية: ١٧٧/٣ .

(٦) السنن : ٣٥٩/٢ سعيد بن منصور ، مسند البزار : ٣٠٦/١ ، صحيح ابن حبان: ١١٥/١١ .

الرَّحمةَ وتَجاوُزِ اللهِ عَن الذُّنوبِ العِظام إلاّ ما أُرِيَ يَوم بَدرٍ قِيلَ وما رَأى يَـومَ بَـدرٍ يـا رسولَ الله قال: أمّا إنَّه قَد رَأى جِبـرِيلَ يَزعُ المَلائكةَ" (١) .

لقد أنزل الله تعالى ملائكته يقاتلون مع المسلمين يوم بدر (٢)، ومن هؤلاء الملائكـة جبريل عليه السلام ، وهو ما أكده الرسول الكريم ﷺ ، فلما علِمَ المسلمون بذلك فرحوا وعدّوا ذلك نصراً لهم ، وفاخروا به ، فهذا كعب بن مالك يؤكد في شعره الذي رثى بـه حمـزة قتال جبريل عليه السلام الأعداء خلف لواء رسول الله ﷺ وهذا المعنى ما عرفه كعب إلاّ بعـد ما سمع ما قاله رسول الله ، فقال (٣):

وَبِبَدْرٍ إذ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ جِبريلُ تَحْتَ لِوائِنَا وَمُحَمَّد

وعندما حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة وأراد تحديد مصيرهم ، اختاروا سعد بن معاذ ليصدر الحكم بحقهم ، فقال رسول الله ﷺ : " إنَّ هؤلاء نزلوا على حكمك قال فـإني أحكُمُ فيهم أنْ تُقتَل مقاتِلَهُم وتُسبي ذَراريَّهُم ، قال: حكمت بحُكم اللهِ أو بُحكم الملك " (٤) .

إنَّ تأييد الله تعالى لحكم سعد كـان مفخرة للمسلمين الذين أشادوا بهذا الحكم ، فهذا حسان بن ثابت يُشيد بحكم سعد في بني قريظة الذي وافقه حكم الله تعالى ، وهذا المعنـى ما كان ليعرفه حسان لولا حديث رسول الله ﷺ ، فقال (٥):

بِحُكمِكَ في حَيِّ قُريظة بالذي قَضَى اللهُ فِيهِم مَا قَضَيتَ عَلى عَمْدِ

فَوَافَقَ حُكمَ اللهِ حُكمُكَ فِيهِم وَلَمْ تَعفُ إذ ذُكِّرت ما كان مِن عَهْدِ

وقـال رسول الله ﷺ عندما استشهد سعد لامه: " أَلاَ يرقأ دَمعُكِ ويذهبُ حُزنُـكِ ، فإنَّ ابنَكِ أول مَنْ ضَحِكَ الله لهُ واهتزَّ له العـرشُ " (٦).

---

(١) الموطأ : ٤٢٢/١ .

(٢) يُنظر: سورة آل عمران: الآيتان ١٢٤ – ١٢٥ ، ويُنظر: سورة الانفال: الآية ٩ .

(٣) ديوانه: ١٦٠ .

(٤) صحيح البخاري: ١٣٨٤/٤ .

(٥) ديوانه : ٤١٥ .

(٦) مسند الامام احمد: ٤٥٦/٦ .

فرثاه رجل من الأنصار وقد اقتبس ما قاله رسول الله ﷺ ، فقال [1]:

وَمَا اهتزَّ عَرْشُ اللهِ مِن مَوتِ هَالِكٍ سَمِعْنَا بِهِ إلاَّ لِسَعْدِ أبي عمرو

قال رسول الله ﷺ ، موصيا قادة مؤتة: " إنْ أصيب زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالب على الناس ، فإنْ أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس " [2]. وصدق المصطفى فقد استشهد هؤلاء القادة الثلاثة فهذا حسان بن ثابت يقتبس معنى التتابع لهؤلاء الشهداء الذين أمرهم رسول الله ﷺ ، وجعل أولهم زيداً ، ثم جعفراً ، ثم عبد الله ، فقال حسان وقد تمثل ذلك كله [3] :

فلا يُبعِدَنَّ اللهُ قَتلى تَتَابَعُوا بِمُؤتَةَ مِنْهُمْ ذُو الجَناحينِ جَعْفَرُ

وزيدٌ وعَبدُ اللهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعاً وأسْبَابُ المَنِيَّةِ تَخْطِرُ

وفي الشطر الثاني من البيت الأول نجد أنَّ شاعرنا حسان قد اقتبس وصف جعفر بذي الجناحين من حديث رسول الله ﷺ الذي وصف ثواب جعفر في الجنة فقال: " ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر " [4] .

وهذا الحديث نجده أيضا قد اُقْتُبِسَ منه الأجر الذي ناله جعفر في الجنة في قول إعرابي يخاطب ابنه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال [5]:

أبَا جَعْفَرٍ إنَّ الجِيادَ تَواكَلَتْ فَادْرَكَتْ عِنْدَ الحِضارِ فتورُ

أبَا جَعْفَرٍ يا ابن الشَّهيدِ الذي لَهُ جَنَاحَانِ في أعلى الجِنَانِ يَطِيرُ

أبَا جَعْفَرٍ ضَنَّ الأميرُ بمالِهِ وأنْتَ عَلى ما في يَدَيْكَ أميرُ

قال رسول الله ﷺ : " حُفَّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " [6]

---

(١) السيرة النبوية: ٢٦٣/٣ ، الاستيعاب: ٦٠٥/٢ .

(٢) صحيح البخاري: ٥٨/٣

(٣) ديوانه: ٩٨ .

(٤) مجمع الزوائد : ١٦٦/٩ .

(٥) الأخبار الموفقيات: ٨٠ – ٨١ ، للزبير بن بكار ، تحقيق د. سامي مكي العاني .

(٦) صحيح مسلم: ٢١٧٤/٤ .

يُبين لنا رسول الله أنَّ طريق الجنة صعب ومحفوف بالمصاعب التي تتطلب الصبر والثبات وهذا المعنى نجده مُقتبسا في قول ربيعة بن معمر وهو يحرض المؤمنين على مواصلة الجهاد حتى ينالوا الجنان .

وَلله في عرض السَّموات جَنَّةٌ وَلكِنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بالمكارِه [1]

قال رسول الله ﷺ في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " إنَّ الله جعل الحقَّ على قلب عمر ولسانه " [2] . أفاد حسان بن ثابت من هذا الحديث الشريف في رثائه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أكدَّ معرفته للحق ، فقال [3]:

مُطِيْعٌ لأمرِ الله بالحقِّ عارِفٌ بَعيدُ الأنامِ عِندهُ لَقَرِيبُ

قال رسول الله ﷺ في فضل زيد بن حارثة: " كان لمن أحب الناس إليَّ " [4] . اقتبس حسان هذا الحب في شعره الذي رثى به قادة مؤتة ومنهم زيد بن حارثة حِب رسول الله ﷺ فقال [5]:

حِبَّ خَيْرِ الأنامِ طُرّاً جَميعاً سَيِّد النّاس حُبُّهُ في الصُّدورِ

قال رسول الله ﷺ : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلَّا أنْ يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " [6] ، وقال أيضا: " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة " [7] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني "[8] .

---

(١) فتوح الشام: ١/٢٦٨ .

(٢) صحيح ابن حبان : ١٥/٣١٢ .

(٣) ديوانه: ٢٧٣ .

(٤) صحيح البخاري: ٦/٢٤٤٤ .

(٥) ديوانه : ٢٩٥ .

(٦) صحيح مسلم: ٣/١٤٦٩ .

(٧) سنن ابن ماجه: ٢/٩٥٥ .

(٨) صحيح مسلم: ٣/١٤٦٦ .

في هذه الأحاديث الشريفة يبين لنا رسول الله ﷺ وجوب طاعة أمير المسلمين ؛ لانه يحافظ على كلمتهم ويوحد صفهم على أنْ تكون طاعته مقرونة بطاعة الله تعالى ، فإنْ كانت كذلك وجبت على كل مسلم لأنَّه يأمر بحكم الله تعالى ، وطاعته تعني طاعة الله تعالى ، ونجد هذه الطاعة مقتبسة في قول كعب بن مالك إذ يقول [1]:

قَوْمٌ يَرَوْنَ الحقَّ نَصْرَ أميرهم وَيَرَونَ طَاعةَ أَمْرِه إِيمَانَا

هذا أهم ما اهتدى إليه البحث من إقتباسات شعراء هذا العصر من أحاديث المصطفى ﷺ ، أما في العصر الأموي فإن البحث اهتدى إلى حديث وأحد اقتبسه أحد شعراء هذا العصر ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت الملقب بالأحوص ، جده عاصم بن ثابت حمى الدبر أي النحل وقد تقدم خبره ، وخال أبيه حنظلة بن أبي عامر الذي قُتِلَ يوم أُحُد [2] ، فقال المصطفى ﷺ في حقه: " إنَّ صاحبكم لتغسله الملائكة " [3] ، لأنَّه خرج ملبيا نداء الجهاد وهو جنب ، فافتخر بهما الاحوص فقال [4]:

فَأَنَا ابن الذي حَمَتْ لَحْمَهُ الدَّبْـ ـرُ قتيلُ اللِّحْيَانِ يَومَ الرَّجيعِ

غَسَّلَتْ خَالي الملائكةُ الأَبْـ ـرَارُ مَيْتاً طُوبَى لَهُ مِن صَريعِ

فنحن نلاحظ إقتباس هذا الشاعر لحديث المصطفى ﷺ في حق خاله وعده مفخرة له

إنَّ هذه القلة أو الأنعام عند شعراء هذا العصر لا يعني عدم اهتمامهم بهذا النبع الثقافي الثاني العظيم ، بل إنَّ الدارس لاتجاهات شعرهم الاخرى يجد اهتمامهم بهذا النبع وإقتباسهم منه [5]، أما سبب هذا الفرق فإنَّ البحث يمكنه القول ومن خلال الأحاديث التي اهتدى إليها عند شعراء صدر الإسلام ، إنَّه كان معظمها أحاديث قيلت في حق الصحابة ﷺ ، سواء في حياتهم أم بعد استشهادهم ، فلما رأى شعراء المسلمين اهتمام

---

(١) ديوانه: ٢١٩ .

(٢) ينظر: الاغاني: ٤/٢٢٤ .

(٣) البيان والتعريف : ١/٢٨٦ .

(٤) شعره: ١٥٧ ، جمعه وحققه عادل سليمان جمال .

(٥) ينظر: الإسلام والشعر: ٢٣٣ ، د. سامي مكي العاني ، وينظر: شعر الفرزدق بين أصداء الجاهلية وصوت الاسلام : ١٣٥ – ١٣٦ د. محمد كريم أحمد .

المصطفىﷺ لهؤلاء الشهداء وثناءه عليهم وهو الصادق المصدوق ، اقتبسوا قوله الشريف فزينوا به أشعارهم حتى تكون أصدق الأشعار ، أمّا في العصر الأموي فإن معظم المسلمين لم يُدركوا المصطفى ﷺ ، ولم تكن في حقهم أحاديث شريفة ، وحتى الحديث الذي يخص هذا العصر فهو قيل في حق شهيد من صدر الإسلام ، لكن الشاعر الذي افتخر به هو أموي ، خلافا لعصر صدر الإسلام الذي كثرت فيه أحاديث المصطفىﷺ في حق أصحابه الكرام الذين كانوا خير صحب لخير نبي .

المبحث الخامس
الصورة الشعرية

حظيت الصورة الشعرية باهتمام كبير من لدن باحثينا القدامى والمحدثين ، لأنها أفضل وسيلة لنقل ما تحمل الأشعار من مضامين تصويرية إلى ذهن المتلقي ، لكي يتمتع بالأفكار والمشاعر التي تحملها هذه الصور ، والتي قد يستجيب لمضامينها الجمالية والإبداعية ، فهي إذاً تحتل مكانة مهمة في بناء النص الشعري [١] ، يقول الجاحظ : (إنما الشعر صناعة وضربٌ من النسيج وجنس من التصوير) [٢]، فالجاحظ عدَّ عملية نظم الشعر عملية صناعة وابتكار ، وهذه الصناعة لا تكتمل عنده جودتها ما لم يتواجد التصوير فيها ، ومما يؤكد كلامه هذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني عندما قال: (إنّ سبيلَ الكلام سبيل التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب ، يُصاغ منهما خاتم أو سوار)[٣].

وتقوم الصورة الشعرية على أساس الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة [٤] ، ولا تقف عند حدود الرؤية البصرية ، بل تتعداها إلى خيال الشاعر الواسع وقدرته على تشكيل صوَر رائعة ، فضلاً عن صور أخرى متعارف عليها وهي الصور الناتجة عن استخدام فنون بلاغية متنوعة [٥]، فهي – أي الصورة – على ما تقدم (تشكيل لغوي نابع من المخيلة المبدعة تتفاوت عناصرها بين الحسية والمعنوية ، ...) [٦] ، والشاعر حين يرسم الصورة الشعرية فهو يُعبر عن إدراكه للحقائق بالرؤية البصرية أو بالمحاكاة ، سواء بالوقوف عند حدود الظواهر ونقلها بواقعية مسطحة أو بإعطاء الصورة المنكية

---

(١) يُنظر: بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر: ٤٥ ، ٥٣ ، مرشد الزبيدي .

(٢) الحيوان: ١٣٢/٣ ، للجاحظ ، حققه وشرحه عبد السلام محمد هارون .

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٥٥ ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي .

(٤) يُنظر: الصورة الشعرية: ٢١ ، سي – دي لويس ، ترجمة د. احمد نصيف الجنابي ، مالك مسوي ، سلمان حسن إبراهيم، مراجعة د. عماد غروان إسماعيل .

(٥) يُنظر: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: ٣٠ ، د. علي البطل.

(٦) الصورة المجازية في شعر المتنبي: ٢٨ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب – بغداد – خليل رشيد فالح – ١٩٨٥ .

روحاً تُجَسِّدُ أمامنا حضوراً جديداً ، أو يتحد فيها الجزئي بالكلي ويُوفق فيها بين المتناقضات [١] .

وكما أوضحنا ومن خلال كلام الجاحظ فإن الصورة تُعدُّ عنصراً مهماً من عناصر الفن الشعري ، وتُعد في كثير من الأحيان مقياساً لجودة الشاعر وقدرته على نظم الشعر التصويري [٢]، فالشعر من أقدم الفنون الجميلة القادرة على استيعاب الصور لانه بالألفاظ يُعبر عن جميع أنواع الصورة الساكن فيها والمتحرك [٣].

ومرَّ بنا اهتمام النقاد بالحديث عن الصورة الشعرية دون أن يُطلقوا عليها مصطلح (الصورة الشعرية) ، بل كانوا يستخدمون مصطلح المعنى أو المعاني للدلالة على الصورة [٤]، ولهذا نجد أنَّ حازم القرطاجني يُشير إلى أنَّ المعاني هي الصورة الحاصلة في أذهان المستمعين عن الأشياء الموجودة التي يُمكن أنْ تُدرك ، وهذه الصورة الذهنية تشكلت بفعل الألفاظ الموحية والمعبرة عن هذه الصور التي هي وسيلة الشاعر لإفهام المستمعين [٥].

وما وجدناه من صور شعرية ذات صلة بموضوعنا هي صور كونتها الفنون البلاغية التي استخدمها الشعراء ، كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها ، والقصد منها كما ذكرنا هو إفهام السامع والتأثير فيه عن طريق المعاني الواضحة والقريبة إلى ذهن السامع ، ومما يزيدها وضوحا ما يضيفه عليها الشاعر من مسحة جمالية [٦].

غير أنَّ هذا لا يمنع من وجود صور نفسية وعقلية كونتها مخيلة الشاعر دون استخدام فنون بلاغية [٧]، وعودة إلى بدء إلى فنون البلاغة التي استخدمها شعراؤنا في تشكيل صورهم ، فكان التشبيه في مقدمة هذه الفنون لأنه أكثر الفنون استعمالا لا في

---

(١) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس: ٢١ ، ساسين سيمون عساف .

(٢) يُنظر: الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام ، دراسة فنية فكرية: ٣٥٢ .

(٣) يُنظر: تمهيد في النقد الحديث: ١٩١ ، روز غريّب .

(٤) يُنظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣١٣ ، د. جابر عصفور ، ودير الملاك: ٢٢١ ، د. محسن طبيمش .

(٥) يُنظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٨ – ١٩ .

(٦) يُنظر: فنون بلاغية: البيان البديع: ٢٧ ، د. أحمد مطلوب .

(٧) يُنظر: التفسير النفسي للأدب: ٨٩ ، د. عز الدين إسماعيل .

الشعر فقط، بل في سائر كلام العرب[1]، وذلك لأنه من(أقدم صور البيان ووسائل الخيال،وأقربها إلى الفهم والأذهان)[2]،فهو (المجال الرحب لانسياب الصورة واستحداثها في الشكل ، بل هو الكاشف عن حقيقة الصورة الأدبية ، ولعله من أهم مقومات الشكل الشعري) [3]، وأغلب تشبيهاتهم التي جاءت في أشعارهم اتسمت بالعفوية واستوعبوا في (نماذج كثيرة مظاهر الكون والحياة وعوالم الطبيعة ، وهيأت المناخ في خضم مشاهد الدنيا) [4]. فهذا حسان بن ثابت يشبه جعفر بن أبي طالب ﷺ ، بلون البدر، فقال [5]:

أَغَرُّ كَلَوْنِ البَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ شُجاعٌ إذا سِيمَ الظُّلامَةِ مُجْسَرُ

وهذا زياد بن أبي سفيان يتسلم الراية من عمرو بن العاص ﷺ ويتقدم الصفوف مرتجزاً نشيداً جهادياً ، فهو من ذروة آل هاشم الذين يشبههم بالبدور الطوالع فقال [6]:

أَمَامَ الوَغَى مِنْ آلِ ذِرْوَةَ هَاشِمٍ حُمَاةَ البَرَايَا كَالبُدُورِ الطَّوَالِعِ

وجاءت في أشعارهم تشبيهات كثيرة مستوحاة من واقعهم المعاشي ، فشباب المسلمين الذين نالوا شرف الشهادة يوم أحد ، تأثر لفقدهم حسان بن ثابت وشبههم بالمصابيح ، فقال [7]:

لَهَفِي لِشُبَّانٍ رُزِينَاهُم كَأَنَّهُمُ المَصَابِح

ولكي يؤكد الشعراء شجاعة شهدائهم فإنهم شبهوهم بالأسد [8]، وبفحول الإبل [9] والجبل الذي هو رمز الثبات والصمود ، كما شبهوا الفارس في شراسته بالضباع الجياع

---

(١) يُنظر: الكامل في اللغة والأدب: ١٣٢/٣ .

(٢) فنون بلاغية: ٢٧ .

(٣) الصورة الأدبية في الشعر الأموي: ٤٤ .

(٤) أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة: ٨٠ ، د. محمد حسين علي الصغير .

(٥) المصدر نفسه: ٩٨ .

(٦) فتوح الشام: ٢٢٥/٢ .

(٧) ديوانه: ٤٥١ .

(٨) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ ، وديوان حسان: ١٣٤ ، ٣٢١ ، ٤٢٢ ، وديوان كعب بن مالك: ١٦٠ – ١٧٥، وفتوح الشام: ١٨٧/٢ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ومعجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٩) يُنظر: ديوان كعب بن مالك: ٢٠٥ ، والمصدر نفسه: ١٦٠ .

للأكل كما تشتهي الإبل الماء [1].

كما شبهوا شجاعتهم بالطيور الجوارح ، ومنها الصقر الذي جعله حسان بن ثابت مشبهاً به في رثائه لخبيب بن عدي ، فقال [2]:

صَقْرًا تَوَسَّطَ فِي الأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ حُلْوَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشَبِ

وبالمقابل فانهم رسموا لنا صورة أعدائهم وهم يجرون أذيال الهزيمة ، فشبهوا هزيمتهم بالنعام الشارد ، والنعام دون غيره لأنّه كان يُضْرَب به المثل في الجبن والهزيمة فقيل (أنفر من نعامة) [3] ، ولهذا نجد كعب بن مالك يصور لنا فلول المشركين المنهزمة وخيول المسلمين تُلاحقهم كأنهم نعام شُرَّدٌ ، فقال [4]:

فَأَتَاكَ قُلُّ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُم وَالْخَيْلُ تَتْبَعُهُمْ نِعَامٌ شُرَّدُ

أمّا ضرار بن الأزور فإنه عزم على تفريق جمع المشركين وجعلهم مشتتين في ساحة المعركة كأنهم أغنامٌ تائهة في صحراء مقفرة ، فيمضي فيهم تقتيلا وتمزيقا ، كأنه الليث الغضنفر وقد ملك جموع الأغنام الشاردة ، فقال [5]:

وَإِلاَّ كَأَغْنَامٍ مَضَيْنَ بِقَفْرَةٍ وَأَصْبَحَ مَوْلاهَا عَنْ السَّعْيِ نَائِمَا

وَقَدْ مَلَكَ اللَّيْثُ الغَضَنْفَرُ جَمْعَهَا وَأَصْبَحَ فِيهَا بِالْمَخَالِبِ حَاطِمَا

وشبّه كعب بن مالك العبد الأسود وحشياً قاتل حمزة ﷺ بالجمل الأدعج وشبّه حربته بالشهاب الملتهب ، فقال [6]:

فَلاقَاهُ عَبْدَ بَنِي نَوْفَلٍ يُبَرْبِرُ كَالْجَمَلِ الأَدْعَجِ

فَأَوْجَرَهُ حَرْبَةً كَالشِّهَابِ تَلَهَّبُ فِي اللَّهَبِ الْمُوْهَجِ

---

(١) يُنظر: ديوان الهذليين: ٢/١٥٠ .

(٢) ديوانه: ٣٧٠ .

(٣) المستقصى في أمثال العرب: ١/٣٩٧ جار الله الزمخشري .

(٤) ديوانه: ١٦١ .

(٥) فتوح الشام: ٢/٢٤٤ .

(٦) ديوانه: ١٥٨ .

ومثلما أكدوا شجاعة الشهداء بتشبيهاتهم المختلفة ، نراهم قد أكدوا كرمهم أيضـــا ، فهذا حسان بن ثابت يؤكد كرم حمزة بن عبد المطلب ﷺ عندما شبهه بالبحر في سعة عطائه ، فقال [1]:

بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَاراً مِنْهُ سَيْبٌ أو مَنادِح

كما نجد في أشعارهم تشبيهات بينوا فيها مُصاب المسلمين وما حلَّ بهم بعد فَقدِهـــم خلفاء المسلمين ﷺ ، فعندما استشهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بكينـــه نســـاء الحي بكاء الشجيات ، وعـــزمن عـــلى خمش وجوههن كالدنانير نقيات [2]:

سَيَبْكِيْكَ نِسَاءُ الحـــ ـــيِّ يَبْكِيْنَ شَجِيَّاتِ
وَيَخْمُشْنَ وُجُوهَاً كالـــ دَنَانِيرِ نقيّاتِ

وعندما استشهد حمزة ﷺ أصبح حسان وحيدا كالعود الذي أزالوا عنـــه أغصانـــه وأشواكه فأصبح وحيداً ليس معه أحد ، فقال [3]:

يَا حَمْزَ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالعُودِ شَذَّبَهُ الكَوَافِح

ويطلب من عينيـــه أنْ تسح دموعـــا على فقد خُبيب مثل قطع اللؤلؤ ، فقال [4]:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لا تَرْقَا مَدَامِعُها سَحَاً عَلى الصَّدرِ مِثْلُ اللؤلؤ القَلِقِ

ويحزن خالد بن الوليد ﷺ على استشهاد زياد بن أبي ســـفيان ، ويشـــبه دموعـــه بالسحائب لكثرة بكائه عليه ، فأحرق الفراق فرحته كما تحرق النار الحطب وفقد صوابـــه من شدة حزنه عليه ، فقال [5]:

هَوَامَ دُمُوعِي كَالسَّحائِبِ تَـــهْمَعُ وَقَلْبِي مِـــنْ فَقْـــدِ الأَحِبَّـــةِ يَفْـــزَعُ

(١) ديوانه : ٤٥١ .
(٢) تاريخ الطبري: ٢٨/٥ .
(٣) ديوانه: ٤٥٢ .
(٤) المصدر نفسه: ٢١٣ .
(٥) فتوح الشام: ٣٠٠/٢ .

لِفَقْدِ زِيَادَ أَحْرَقَ البَـــينُ مُـــهْجَتِي وَغَابَ صَوابِي وَهُوَ فِي الأَرْضِ يَصْـرَعُ

كما صوروا لنا حُزن مظاهر الكون على فقد شهداء المسلمين ، فالأرض أظلمـــت وأسودّ نور القمر الخارج من السحاب فهو أسود لا يُرى منه نورٌ ، هذا ما تصوره حسان وهو يرثي حمزة ﷺ ، فقال [1]:

أَظلمَتِ الأرض لِفِقْدَانِهِ وَأَسْوَدَّ نُورُ القَمَرِ التَّاصِلِ

كما استعان الشعراء بالاستعارة في شرح المعنى ، لأنها تفعل في النفس ما لا تفعل الحقيقة فهي تُفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه ، كما إنها ذات قدرة علـــى إيجـــاز المعنـــى وتحسينه ، ثم بعد ذلك كله هي طريـــق لتوليد المعاني [2] ، فهي من (محاسن الكـــلام إذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها) [3]، فمن ذلك قول خالد بن الوليد ﷺ ، في رثائه لابنـــه سليمان [4]:

سَأَبْكِي عَلَيهِ كُلَّمَا أَقْبَلَ المَسَا وَمَا ابْتَسَمَ الصُّبْحُ المُنِيرُ وَمَا اسْتَهَل

فهو هنا قد استعار صفة من صفات الإنسان وهي (الابتســـامة) وأضافـــها إلـــى الصبح المنير . وهذا النوع من الاستعارة يُسمى بالاستعارة المكنيـــة ، وهـــي أنْ يُذكـــر المشبه ويحذف المشبه به مع وجود ما يُثبت للمشبه أمر مُختص بالمشبه بـــه [5]، أو هـــي بعبارة أخرى إحياء الجمادات والمعنويات وتشخيصها بإضافة صفة من صفـــات الأحيـــاء أليهما . فالشماخ بن ضرار أضاف صفة الإرواء إلى سيف بُكير بن شداد الليثي ورمحـــه لكي يُبين لنا شجاعة هذا الشهيد ، فيرتوي سيفه ورمحه من دماء الأعـــداء بمـــا يفعلانـــه بالأعداء من تمزيق وطعن ، والإرواء كما هو معلوم من صفات الأحياء التـــي تعطـــش فتُروي عطشها بما تشربه من الماء ، فقال [6]:

فَتًى كانَ يَرْوِي سَيْفَهُ وَسِنَانُهُ مِنَ العَلَقِ الآنِي لَدَى المُحْجَرِ التَّالِي

---

(١) ديوانه: ٣٢١ .

(٢) يُنظر: البلاغة والتطبيق: ٣٦٥ ، د. احمد مطلوب د. حسن البصير .

(٣) العمدة: ٢٦٨/١ .

(٤) فتوح الشام: ٢٦٧/٢ .

(٥) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٠٩/٢ ، ويُنظر: الطراز في علم المعاني والبديع والبيان:٢٢٧

(٦) ديوانه: ٤٥٦ .

ولم ينسَ الشعراء أن يسلكوا طريق الكناية من أجل (إثبات معنى من المعـــاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة ، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجـود ، فيوميء به إليه ، ويجعله دليلا عليه) [1] .

فمن ذلك شعر حسان بن ثابت الذي رثى به أمير المؤمنين عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه فقال [2]:

فَجَعَنَا فَيْرُوزُ ، لا دَرَّ دَرُّهُ بِأَبْيَضَ يَتْلُو المُحْكَمَاتِ مُنيبِ

فهو لا يقصد بـــ (أبيض) بياض اللون ، بل هي كلمة كنّى بها عن نقاء عرضـه من الدنس والعيوب . لان العرب منذ القدم كانت إذا قالت فلان ابيض أو فلانـــة بيضـــاء فالمعنى ما ذكرنا من نقاء العرض مما يشوبه [3]، فمن ذلك قول زهير يمدح رجلاً [4]:

أَغَرُّ أَبْيَضُ ، فَيَّاضٌ ، يُفَكِّكُ عَن أَيدِي العُنَاة ، وَعَن أَعْنَاقِهَا الرِّبَقَا

وقال أيضا [5]:

وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ ، يَدَاهُ غمامةٌ على مُعتفيه ، ما تُغِبُّ فَواضِلُهُ

كما نجد حسان قد كنى بهذه الكلمة عن نقاء عرض حمزة ، فهو في الذروة الرفيعة من بني هاشم [6]، فقال [7]:

أَبْيَضُ في الذِّرْوَةِ من هَاشِمٍ لَمْ يَمْرِ دُونَ الحقِّ بِالبَاطِلِ

وحرص شعراء المسلمين على تزيين أشعارهم بفنون الأداء الصوتي التـــي مـــن شانها إثارة الخيال واستجلاء المعاني [8]، ومن هذه الفنون الطباق والجناس .

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٥ .

(٢) ديوانه: ٢٧٣ .

(٣) يُنظر: اللسان: ٢/٩٤٠ .

(٤) ديوانه : ٥٩ ، تحقيق وشرح كرم البستاني .

(٥) ديوانه : ٩٥ .

(٦) يُنظر: شرح ديوان حسان: ٣٨٦ الهامش .

(٧) ديوانه: ٣٢١ .

(٨) يُنظر: حرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٧٣ ، د. ماهر مهدي هلال .

أمَّا الطبـــاق (فهو الجمـــع بين المتضادَّين ، أي معنيين متقابلين في الجملـــة) [١]، وهو ما يُسمى بطباق الإيجاب [٢]، فمن ذلك قول حسان في رثاء جعفر بن أبى طـــالب إذ طابق بين العزّ والذّل في الشطر الثاني ، فقال [٣]:

رُزْءاً وَأَكْرَمِهَا جَمِيعاً مُحْتَداً وَأَعَزّهَا مُتَظَلِّمَا ، وَأَذَلّهَا

وكذلك قول أبي محجن الثقفي في رثاء أبى عبيدة [٤]:

يومٌ بيومِ أبي جَبْرٍ وَإخوتِهِ وَالنَّفْسُ نَفْسَانِ مِنْهَا الهَوْلُ وَالشَّفَقُ

إذ طابق بين الهول والشفق .

أمَّا الجناس ، فهو تشابه الكلمتين في اللفظ [٥] ، وهو على نوعين:

الأول: ويسمى (الجناس التـــام وهو أن يتفقا في أنواع الحـــروف ، واعدادهـــا ، وهيئاتها وترتيبها) [٦]، فمن ذلك الجناس الذي ورد في شعر كعب بن مالك الذي رثى بـــه شهداء مؤتة ، فقال [٧]:

حَتَى تَفَرَّجَتْ الصفُوفُ وَجَعْفرٌ حَيْثُ التَقَى وَعْثُ الصُفُوفِ مُجَدَّل

فهو هنا قد جانس بين الصفوف الأولى والثانية ، فالجناس هنا كان بين اسمين وهذا النوع من الجناس يُسمى مماثلاً [٨]. وكذلك نجد الأمر نفسه في شعره عبد الله بن رواحـــة الذي رثى به حمزة ﷺ فقال [٩]:

أُصِيبَ المُسْلِمونَ بِهِ جَمِيْعاً هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُول

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٣٤/٢ .

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٣٣٦/٢ .

(٣) ديوانه : ٣٢٣ .

(٤) ديوانه: ٢٩ .

(٥) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٨٢/٢ ، ويُنظر: الصباغ في علم المعاني والبديع والبيان: ٤٨٠

(٦) المصدرين أنفسهما .

(٧) ديوانه: ٢٠٥ .

(٨) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٨٢/٢ .

(٩) ديوانه: ٩٨ .

ومن الجناس التام أو المتماثل الذي ورد في أشعارهم ما ورد في شعر حسان بن ثابت الذي رثى به ثالث قادة مؤتة ، عبد الله بن رواحة ، قال [1] :

وَإِنْ ضَاقَ بِالموتِ صَدْرُ امرئٍ فَصَدْرُكَ بِالمَوتِ لم يَحْرَجِ

فالجناس واضح بين شبه الجملة(بالموت الأولى والثانية) فكلاهما جاء في وسط الكلام .

أما النوع الآخر من الجناس فهو الجناس المختلف ، فقد يكون الاختلاف في الحركة فقط ، نحو قول حسان في رثاء سليط بن قيس النجاري [2]:

فَإِنِّي لَبَاكٍ مَا حَيِيتُ وَلَوْ بَكَى عَلى المَيْتِ مَيْتٌ جُدتُ بالدَّمعِ في قَبْرِي

فجانس بين (الميت الأولى المكسورة والثانية المضمومة) .

وكذلك الأمر نفسه نجد في شعر الحطيئة الذي رثى به الفاروق عمر بن الخطاب ، فقال [3]:

وَلا تَبكِ مَيتاً بعد مَيْتٍ أَحَبَّهُ عليٌّ وَعَبَّاسٌ وَآل أبي بكرِ

(فالميت الأولى مفتوحة والثانية مكسورة) .

وقد يكون الاختلاف بحرفٍ واحدٍ بين اللفظتين مع تقارب المخرج ويسمى هذا النوع بالمضارع [4].

فمنه ما جاء في شعر خُبيب بن عدي حين عزموا على قتله [5]:

إلى الله أشكو غُربتي ثُمَّ كُربتي وما أَرصدَ الاحزابُ لي عند مَصْرَعِي

فجانس بين (غربتي وكربتي) .

وليس دائما يكون هناك تقارب في مخرج الحرفين المختلفين من الكلمتين المتجانستين ، بل يقع التجانس بين لفظتين دون أن يكون بين الحرفين المختلفين تشابه في

---

(١) ديوانه: ٤١٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٤٢٢ .

(٣) ديوانه: ٢٩٨ .

(٤) يُنظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٣٦٧/٢ ، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان: ٤٨٣ .

(٥) السيرة النبوية: ١٨٥/٣ ، والاستيعاب: ٤٤١/٢ ، غاية الأرب: ١٣٦/١٧ ، البداية والنهاية: ٧٦/٤ .

المخرج ، ويسمى هذا النوع باللاحق .[1] ويكون الحرف المختلف في آخر الكلمة ، ويتجلى لنا ذلك في شعر حسان الذي رثى به عبد الله بن رواحة ، فقال [2]:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ مُصَاصُ النِّجارِ مِنَ الخَزْرَجِ

فكلمتا (النِّجاد والنِّجار) تشابهتا في كل شيء إلا الحرف الأخير فإنه اختلف ، ففي الأولى كان الدال وفي الثانية كان الراء .

ومما تقدم نستطيع القول إنَّ أغلب صورهم الشعرية قد اتسمت بالعفوية ، ولا نقصد بالعفوية التحلل من كل قيد أو تقليد فني ، أو نظام ، كما إننا لا نعني بها خلو هذا الشعر من أية قيمة فنية جمالية ، وإنما نعني بها انعدام الصقل والتهذيب والمعاودة والمراجعة وبالتالي انعدام التكلف والتقعر والتعمل [3].

أمَّا شعراء العصر الأموي فهم أيضا قد أدركوا أهمية الصورة ودلالتها ، وما لها من أثر مهم في إثارة إعجاب المتلقي عن طريق إيصال المعنى إلى ذهنه بأجمل الصور .

فالشعر عندهم (ليس مجرد القدرة على نظم كلمات موزونة مقفاة بقدر ما هو قدرة على دقة الوصف والتشبيه) [4]، وهم كغيرهم من الشعراء استخدموا فنون البلاغة في تشكيل صورهم الشعرية ومن هذه الفنون البلاغية التشبيه ، فقد جاء في مقدمة هذه الفنون، ولا غرابة أنْ يحتل التشبيه هذه المكانة خاصة إذا علمنا أنَّ العرب (كانت تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتُسَلِّم السَّبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبَّه فقارب) [5].

فالفرزدق يُشبه ابن أخيه محمداً بشهاب الليل عندما يُوقد ناره حتى يستدل بها من كانت له حاجة عنده [6]:

فَتىً كَشِهابِ اللَّيلِ يَرْفَعُ نارَهُ إذا النَّارُ أَخْبَاهَا لِسَارٍ ضِرَامُهَا

---

(١) يُنظر : التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ٤٨٤ .

(٢) ديوانه : ٤١٢ .

(٣) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣٠٧ ، ويُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ/١٩٢ .

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ١٠٤ .

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٣٣ .

(٦) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٣/٢ .

. ويأسف على خيانة الأيام والليالي التي فرقت بينه وبين محمد ، وشبهها بخيانة دلو القوم التي يستقى بها من الماء فينقطع حبلها من الوسط ، فقال [1]:

وَقَدْ خَانَنِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ... لَيَالٍ وَأَيَّامٌ تَنَاعَى الِتئَامُهَا

كَمَا خَانَ دَلْوُ القَوْمِ إذ يُسْتَقَى بِهَا ... مِنَ الماءِ مِنْ مَتْنِ الرِّشاءِ انْجِذامُهَا

وقد مرَّ بنا شعر أبي صخر الهذلي الذي رثى به ابنه داود ، وقد افتتح شعره هذا متغزلا بسرب نساء كامثال الدمى [2] ، وكموز السقى [3] ، وكبيض النقا [4] .

وكان هذا الفن وسيلتهم في إثبات ما اتصف به هؤلاء الشهداء من صفات وسجايا ، فهذا الشمردل البريوعي يصور لنا شجاعة أخيه وائل ، فهو يذود عن المسلمين ويحميهم من أعدائهم الفرس ، فشبَّهه بالأسد الشجاع الذي يذود عن بيته من كل مَنْ يحاول الاقتراب منه ، فقال [5]:

إلى ذَائِدٍ في الحَرْبِ لَمْ يَكُ خَامِلاً ... إذا عَاذَ بالسَّيْفِ المُجَرَّدِ حَامِلُهُ

كَمَا ذادَ عن عِرِّيسَةِ الغَيْلِ مخدرٌ ... يَخَافُ الرَّدَى رُكْبَانُهُ وَأَراجِلُهُ

ونجده مرة أخرى يستخدم هذا الفن في رسم صورة شعرية قصد من خلالها تأكيد كرم أخيه وائل ، فيقول: إنَّه كان يقود أبناء قومه في وقت الهجير حرصاً منه على إيصالهم إلى منابع المياه البعيدة ، حتى يرتووا بعد تعبهم من هذا السير الطويل ، وبالرغم من هذا المسير الطويل فإنَّ أخاه لا يهمه تعب أو ملل بقدر ما يهمه سلامة قومه وراحتهم،

(١) شرح ديوان الفرزدق : ٢/ ٧٥٤ .

(٢) يُنظر: شرح أشعار الهذليين: ٢/٩١٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) شعراء أمويون: ق٢/٥٤٤ .

فشبه حاله هذا بحال سربٍ من القطا وقد أصابه العطش وهو يصارع الصقور التي تمنعه من الوصول إلى الماء ، فحرص أخيه على الوصول بأبناء قومه إلى منبع الماء كحرص هذا السرب الذي يصارع من أجل الوصول إلى المنبع نفسه ، فقال [1]:

وَتَهْجِيرُهُ بِالقَوْمِ بَعْدَ كَلالِهِمْ إذا اجْلَوَذَ الخَمْسَ البَعِيْدَ مَنَاهِلُه

عَلى مِثْلِ جُونِي العِطَاشِ مِنَ القَطَا تَجَاهَدَ لَمَّا أفزعَتْهُ أَجَادِلُه

أمَّا الفرزدق فيُشبه لنا الأيتام الذين يتوافدون إلى دار أخيه محمد ، كأنهم رئبال دعاها للمبيت نعامها ، فقال [2]:

يَتَامَى عَلى آثَارِ سُوْدٍ كَأَنَّها رئبالٌ دَعَاهَا لِلَمبِيتِ نَعَامُها

كما كان هذا الفن وسيلة الشمردل في رسم صورة أخرى . بدا فيها عنصر الخيال إلى جانب هذا الفن ، فحسراه تُشبه الصحراء الملساء الشاسعة التي لا شيء فيها يَسرُّ المار فيها ، فالسُموم التي تلفح بوهجها تُوحي له بالحُزن ، وربما أدرك أنَّه لن ينجو من هذه المفازة ، أمَّا الصخور الصماء المرتفعة فقد أحاط بها السراب من جميع الاتجاهات ، فبدت كأنها قرا فرس قد غشّاه ما وُضع عليه من أغطية ، إنَّ القصد من هذه الصورة هو إشاعة الحزن والأسى في جو القصيدة ، فقال [3] :

تشبه حَسراهُ القراقيرَ يرتمي بها ذو حدابٍ بضربُ اليد ساحله [4]

إذا النشزُ فوق الآل ظلٌ كأنهُ قرا فَرَسٍ يغشى الاجلّة كاهله [5]

كما اتخذ شعراء هذا العصر من الاستعارة طريقا لشرح المعاني وتوكيدها ، فهي لا تقل أهمية عن التشبيه ، فقد جعلها المرزوقي في المرتبة الثالثة بعد التشبيه عندما قال: (أقسام الشعر ثلاثة: مثل سائرٌ ، وتشبيه نادر ، واستعارة قريبة) [6]، فهي (تعتمد على

---

(١) شعراء أمويون: ق٢/٥٤٣ .

(٢) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٥٢ .

(٣) شعراء أمويون: ق٢/٥٤٤ .

(٤) القراقير: الأرض الملساء ، يُنظر: اللسان: ٥/٣٥٨٠ (قرر)

(٥) النشز: المرتفع من الأرض ، والآل: السراب ، القرا: الظهر ، يُنظر: المصدر نفسه: ٦/٤٤٢٥(نشز) و ١/١٧٣ (أول) و ٥/٣٦١٦ (قرا).

(٦) شرح ديوان الحماسة: ١/١٠ ، للمرزوقي ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون .

الإستبدال أو الإنتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة ، ... فالمعنى لا يُقدم فيها بطريقة مباشرة ، بل يُقارن أو يُستبدل بغيره على أساس من التشابه) [1].

فهذا أبو الجويرية عيسى بن عصمة يُجَسِد لنا الجود على هيأة رجل قد مات بموت رفيقه الجنيد بن عبد الرحمن ، فأصبحا ثاويين في قبر واحد في أرض مرو ، بل بموتهما مات الكرام ، فقال [2]:

هَلَكَ الجُودُ والجُنَيد جَمِيعَاً ... فَعَلَى الجُودِ وَالجُنيد السَّلام

أَصْبَحَا ثَاوِيين في أَرْضِ مَرو ... مَا تَغَنَّتْ عَلَى الغُصون الحَمام

كُنْتُمَا نُزْهَةَ الكِرَام فَلَمَّا ... مُتَّ مَاتَ النَّدى وَمَاتَ الكِرَام

فمن خلال هذه الصورة التي شكلها الشاعر بواسطة الاستعارة المكنية أكَّد كرم هذا القائد.

أمَّا الشمردل اليربوعي فهو لم يُشخص الجود كائناً حياً ويموت ويُدفن بجوار من يرثيه حتى يؤكد بذلك كرم المرثي ، بل نجده يُشخص الجوع وشهوة أكل اللحم كائنين مسؤولين عن فقر الناس ، فيقوم اخوته الثلاثة بقتلهما بكرمهما وإشباع الناس ، فقال [3]:

لا يَبْعدا فتيا جودٍ ومكرُمةٍ ... لدفع ضيمٍ وقتل الجوعِ والقرم

وهذا زرارة بن حرب يشخص لنا المنية ويجعل منها رجلا قد أصاب ابنه عبد العزيز بسهم سقط من أثره شهيدا مغترباً ، فقال [4]:

رمته المنون على غربةٍ ... بسهم فأصبح جسدي عثورا

وعندما استشهد القائد المجاهد الجراح بن عبد الله الحكمي طلب الفرزدق من الشمس والقمر الذي يهتدي به الساري ليلاً أنْ يبكيا على هذا القائد ، فنحن نعلم أن البكاء

---

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٢٠١ .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٩/٨ .

(٣) شعراء أمويون: ق٥٥٢/٢

(٤) تاريخ ابن عساكر: ٥/ ٣٧ .

من صفات الإنسان ، لكن الفرزدق استعار هذه الصفة واضافها إلى هذين الكوكبين لكي يشاركاه الحزن على فقد هذا القائد ، فقال [1]:

وَتَبْكِ عَلَيهِ الشمسُ والقمرُ الذي ... بِهِ يَدع السَّارين مَيْلَ العَمَايم

كما حرص الشعراء على تزيين أشعارهم بفنون الأداء الصوتي ومنها الطباق والجناس ، فمعروف عن الطباق أنه جمع بين متضادين في المعنى [2].

فهذا ابن السجف المجاشعي يكشف لنا عما عاناه المسلمون في معركة الشعب من الكرب والأذى ، فيقول [3]:

لاَقَوا كَتَائِب من خَاقَانَ مُعلمة ... عَنْهُم يَضِيقُ فَضَاء السَّهْل وَالجَبَل

فنحن نلاحظه وقد جمع بين السهل والجبل مؤكدا من خلالهما كثرة جيش الكافرين.

كذلك كان للتجنيس وهو تشابه الكلمتين في اللفظ [4]، حضور في أشعارهم .

فمنه ما ورد في شعر زرارة بن حرب في رثاء ابنه عبد العزيز ، فقال [5]:

فَقلتُ لَهُ ابنك زَارَ القُبور ... أم ابني مُعَاوى زَارَ القُبُورَا

فجانس بين زار القبور الأولى والثانية ، أما الألف الأخر في الثانية فإنما هي إشباع حركة الروي المطلق وهو الراء المفتوحة [6]، وهذا النوع من الجناس يسمى بالجناس التام [7] كما وجدنا هذا الفن في رجز بعض المجاهدين الذين كانوا ينشدون أراجيزهم في ساحات القتال، فهذا محمد بن زرعة العبدي يقول [8]:

إِنْ نِلْتُ ما أَبْغِي فَقَدْ نِلْتُ المُنَى ... جَنَّاتُ عدن لَيْسَ فِيهَا مَنْ عَنَا

فجانس بين (نلت الأولى والثانية) وهو جناس بين الأفعال .

---

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٩٠ .

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٠٠ ، مصححا بمعرفة احمد سعد علي .

(٣) تاريخ الطبري: ٨/٢١٢ .

(٤) ينظر:مفتاح العلوم: ٢٠٢ .

(٥) تاريخ ابن عساكر: ٥/٣٧٤ .

(٦) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٤٠ د. صفاء خلوصي .

(٧) ينظر مفتاح العلوم : ٢٠٢ .

(٨) الفتوح: ٧/١٨٢ .

وهذا النوع من الجناس كما قلنا هو الجناس التام أو المتماثل ، أمّا الآخر فهو الجناس الناقص أو المختلف ، فقد يكون الإختلاف في الحركة فقط ، ومثال ذلك ما وجدناه في شعر عقيل الذي رثى به ابنه عُلّفة [1]:

فَأَقْسَمْتُ لَا أَبْكِي عَلَىٰ هُلْكِ هَالِك أَصَابَ سَبِيلَ اللهِ خَيرَ سَبِيلِ

فوقع الجناس بين (سبيل الأولى المفتوحة ، والثانية المكسورة) .

ويكون الإختلاف في الحرف ، كالذي وجدناه في شعر الشمردل في رثاء أخويه قدامة ووائل فقال [2]:

خَلِيلَيَّ مِنْ دُونِ الأَخِلاءِ أَصْبَحَا رَهِينِي وَفَاءٍ من وفاةٍ ومن قَتْلِ

فكان الجناس بين (وفاءٍ ووفاةٍ) فالهمزة تختلف عن التاء ، فيسمى هذا النوع بالجناس اللاحق [3] ، ومنه أيضاً ما ورد في شعر الفرزدق الذي رثى به ابن أخيه محمد ، فقال [4]:

تَفَرَّقُ عَنْهَا النَّارُ والنَّابُ تَرْتَمِي بِأَعْصَابِهَا أَرْجَاؤُهَا وَاهْتِزَامُهَا

فالجناسُ المختلف ماثلٌ بين (النار والناب) فالرّاء تختلف عن الباء في الشكل والمخرج .

وبهذا النوع من الجناس نستطيع القول إنّ هذه أهم الصور الشعرية التي حفلت بها أشعار الشهادة والشهيد في هذا العصر – الأموي – وهذه الصور بمجملها نستطيع أنْ نقول عنها إنّها أكثر فنية من صور صدر الإسلام ، لأنها ابتعدت عن الجانب التاريخي أو التوثيقي ، فاهتم الشعراء كثيرا باختيار (الألفاظ والتمهيد الذي يوحي للقاري بتوجه الشاعر والتأنق الفني الذي يعطي اللفظة دلالة التواصل أو قدرة التركيب أو وحدة المجانسة) [5] .

---

(١) الأغاني: ١٢/٣١٣ .

(٢) شعراء أمويون: ق٢/٥٤٨ .

(٣) يُنظر: مفتاح العلوم : ٢٠٣ .

(٤) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٥٢

(٥) شعر الحرب حتى ق١هـ ١٩٢ .

المبحث السادس
الإيقاع

عرف قدامة بن جعفر الشعر بأنه (كلام موزون مقفى يدل على معنى) [1]، فمجرد وجود الوزن والقافية في كلام يدل على معنى لا نجده كافيا في تمييز الشعر من غيره من الكلام ما لم يكن هناك انسجام صوتي بين وحدات تفعيلات البيت الشعري خاصة والقصيدة عامة ، أي لابد من وجود موسيقى خاصة بالشعر تكون (ذات علاقة مباشرة بأفكار الشاعر وأحاسيسه وعواطفه)[2] ، لأنها أي الموسيقى الشعرية (تزيد من انتباهنا ، وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً علمياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال ، وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه ، وكل هذا مما يثير فينا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً) [3].

لذلك نستطيع القول إنّ مصطلح الإيقاع هو مصطلح شامل لديه القدرة على استيعاب الوزن والقافية والانسجام الصوتي بين وحدات تفعيلات البيت الشعري خاصة ، والقصيدة عامة . ويقسم الإيقاع على قسمين:

الأول : الداخلي: ويعتمد على الإنسجام الموسيقي والقدرة على ترديد الأصوات الملائمة لعواطف الشاعر وأحاسيسه من خلال الانسجام الصوتي بين تفعيلات البيت الشعري وأبيات القصيدة [4].

الثاني : الخارجي: ويعتمد على وجود الأوزان والقوافي ، أمّا الأوزان فهي (أعظم أركان حد الشعر ، وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية

---

(١) نقد الشعر: ٦٤ .

(٢) شعر الرثاء في حروب الردة ، دراسة موضوعية وفنية ، بحث منشور في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات الصادرة عن جامعة مؤتة ، الأردن – المجلد الثامن ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، كتبه عبي أر شبد انحاسة ، ص ٤٧ .

(٣) موسيقى الشعر العربي: ١٦ ، د. إبراهيم أنيس .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٤٤ – ٤٥ .

وجالب لها ضرورة) [1] ، فبوجود هذه الأوزان يجد الشاعر حرية كبيرة في التصرف في بحور الشعر العربي [2]، أمّا القوافي فهي (شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية) [3].

الإيقاع الداخلي:

إنّ الإيقاع الداخلي بصوره المتعددة له أثره المهم في اكتمال النغم الموسيقي للقول الشعري ، وقد وجد البحث ومن خلال الأشعار التي حصل عليها ثلاث صور لها أثرها في الإيقاع الداخلي ، وهي التكرار بأنواعه ، والتصريع والتقفية .

١. التكرار:

يقول ابن فارس: (ومن سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر) [4]، فالتكرار أسلوب قديم مارسه الشعراء واهتموا به لأنه يولد انسجاماً صوتياً من خلال الحروف أو المقاطع المتكررة فيما بينها [5] ، كما يفيد توكيد المعنى وتقريبه إلى أذهان المستمعين إليه ، ويُعد التوكيد (سمة من سمات الشعر الإسلامي ، وقد يكون الشعراء متأثرين بالأسلوب القرآني الذي كثيراً ما اعتمد التكرار من أجل التقرير والتأكيد) [6].

فنجدُ في أشعارهم ألفاظا وعبارات متكررة أرادوا من خلالها إشعارنا بمكانة هؤلاء الشهداء الأبرار ، والحزن الذي أصاب جميع المسلمين لفقد هؤلاء الأبرار ، لذلك أكثر الشعراء من التكرار في هذا الغرض ، (وقلّ أنْ تجد شاعراً لا يُكرر في موقف الرثاء)[7]، فمن ذلك تكرار عبارة (وبكيه) التي نجدها ي شعر هند بنت أثاثة بن عبد

---

(١) العمدة: ١/١٣٤ .

(٢) ينظر: الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام: ٣٩٤ .

(٣) العمدة: ١/١٥١ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٢٠٧ .

(٥) ينظر: المرشد: ٢/٥٦٨ ، وينظر: جرس الألفاظ: ٢٣٩ .

(٦) الإسلام والشعر: ٢٢٠ ، وينظر. جرس الألفاظ. ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٧) دروس في البلاغة وتطورها ٢٦٨ ، د. جميل سعيد .

المطلب وهي ترثي عبيدة بن الحارث ، وأرادت من تكرارها هذا توكيد كرم هذا الفارس الكريم الذي شمل كرمه الأقوام والأيتام فهم حزانى على فقده ، فقالت [1]:

وَبَكّيه للأقوام في كُلِّ شَتوةٍ إذَا احمرَّ آفاق السماء مِن المَحْلِ

وَبَكّيه للأيتام والريحُ زفرفٌ وتشيب قدرٍ طُالَمَا أَزبَدَت تَغْلِي

أما حسان بن ثابت فنجده قد كرر لفظة (الجسر) ثلاث مرات أكد من خلالها حزنه على شهداء المسلمين الذين استشهدوا في ذلك اليوم ، فقال[2] :

عَلَى الجِسرِ يَومَ الجِسرِ لَهفي عَلَيهِم فَيا لَهفَ نَفسي لِلمُصَابِ على الجِسرِ

وهذا الإحساس بالحزن الذي أشعرنا به من خلال شعره لم يكن ليبلغ ذروته لولا العبارة المكررة التي (تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية. وباستناد الشاعر إلى هذا التكرار يستغني عن الإفصاح المباشر وإخبار القارئ بالألفاظ عن مدى كثافة الذروة العاطفية) [3] . كما تكررت في أشعارهم ألفاظ شكلت بتناوبها نغماً موسيقياً يُوحي بقوتهم وفتكهم بأعداء الإسلام ، الذين ما أنْ سمعوه حتى ولوا هاربين، فمن ذلك شعر ضرار بن الأزور الذي أنشده وهو يصول على الأعداء ، حيث كرر لفظة (ويل) ثلاث مرات في صدر البيت الآتي ، فقال [4]:

فَويلٌ ثُمَّ وَيلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لهم مِنّي بِمُشتدٍّ العويل

وهذه الظواهر الصوتية على قلتها تؤدي وظيفة سمعية ، وتؤثر فيمن يستجيب لها ذوقياً ، وهذه الوظيفة الصوتية قد ترتضيها أُذن دون أخرى [5].

أمّا بالنسبة للشعر الأموي فإننا وجدنا من خلال دراسة أشعارهم التي تخص موضوع البحث قسماً من الظواهر الصوتية ذات الصلة بالإيقاع الداخلي ، وهذه الظواهر لا تختلف عن ظواهر شعر صدر الإسلام ، وسنبينها بترتيبها السابق نفسه .

---

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١٦٩ .

(٢) ديوانه : ٤٢٢ .

(٣) قضايا الشعر المعاصر : ٢٥٣ . نازك الملائكة .

(٤) فتوح الشام: ٢/٢٩٢ .

(٥) ينظر: الظواهر الصوتية في قصيدة الحرب (الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب) : ٧١ ، د. عبد الرضا علي .

بالنسبة للتكرار فقد كان له حضور في أشعارهم لِمَا له من أثر مهم في تثبيت إيقاعها الداخلي ، كذلك وظيفته الصوتية التي تُشعر الإذن بالانسجام والتوافق والقبول[1].

فمن هذا التكرار ما وجدناه في شعر أبي صخر الهذلي الذي رثى به ابنه داود ، حيث جعل من (الألف المقصورة وهي تنقطع بحركة ، وتنتهي بإشارة هي النغم المُردد والدور المعاد في كل مقطع من مقاطع الأبيات) [2] فقال [3]:

فَسِرْبٌ كَأَمْثَالِ الدُّمَىٰ مُنْتَهَىٰ المُنَى ... يُضِئْنَ الدُّجَى لفٌّ ثِقَالِ الحَقَائِبِ

قِصَارِ الخُطى شُمٌّ شُموسٍ عن الخَنَا ... خِدالِ الشَّوَى فُتْخِ الأَكُفِّ خَرَاعِبِ

كَمَوْزِ السُّقَى في حَائِرٍ غَدِقِ الثَّرَى ... عِذَابِ اللِّمَى يُحْبِبْنَ طُولَ المَنَاسِبِ

كَبِيضِ النَّقَا في حَاجِرٍ قَرِدِ الثَّرَى ... جَلَتْهُ الصَّبَا مِيلٍ طِوَالِ الذَّوَائِبِ

فهذه (الصياغات الموسيقية ذات الإيقاع الفني المرقص ، والوزن الشعري الملفت، تثير حالة أخرى من حالات الموافقة بين اختيار اللفظ ورنَّة الأسى ، وشدة الانفعال ، وعظم المصاب ، ووحدة الحزن وامتداد نشيج العويل الذي تخفيه أنات البكاء أو تطويه حسرات الفجيعة) [4].

ومن تكرار الحرف أيضاً ما وجدناه في شعر زرارة بن حرب بن عمرو بن عوف الذي رثى به ابنه عبد العزيز الذي استشهد في حرب الروم ، إذْ كرر حرف الفاء سبع مرات ، وهذا التكرار يُضفي نغمة موسيقية تُشعر السامع بحزن الأب على ابنه ، فقال [5]:

فَقُلْتُ لَهُ ابنَكَ زَارَ القُبُورَ ... أَمِ ابنِي مَعَاوِي زَارَ القُبُورَا

فَقَالَ ابنَكَ عَبدَ العزِيزِ ... فَكَادَ الفُؤَادُ لَهُ يَطِيرَا

فَإِنْ يَكُنِ المَوتَ أَوْدَىٰ بِهِ ... وَأَصْبَحَ نَبْحُ الكِلَابِ زِيرَا

---

(١) ينظر: الظواهر الفنية في قصيدة الحرب (الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب) : ٧١ .

(٢) شعراء أمويون: ق١٨/٤ .

(٣) شرح أشعار الهذليين: ٩١٦/٢

(٤) شعراء أمويون: ق٤/ ١٨ – ١٩

(٥) تاريخ ابن عساكر: ٣٧٤/٥

فَكُـــلُ فَـــتًى شَـــارِبٌ كَأسَـــهُ فإمَّـــا صُغِـــيرًا وإمَّـــا كَبِـــيرًا

كما وجدناهم يلجأون إلى تكرار ألفاظ ذات جرس موسيقي ، كالذي وجدنـــاه عنـــد الفرزدق، فهو قد استخدم هذا الفن في رثائه لابن أخيه محمد ، إذ أعاد ترديد لفظة (الفتى) ثلاث مرات في مقدمة ثلاثة أبيات من قصيدته التي رثاه بها ، فشكل هذا التكـــرار نغمـــا حزينا يوحي بفقد هذا الفتى الكريم الشجاع ، فقال [1]:

فَتًى كَانَ لا يُبْلِي الإزَارَ وَسَـــيفُهُ بِهِ للمَـــوَالِي فِي الـــتُّرَابِ انتقامُـــهَا
فَتًى لَمْ يَكُنْ يُدْعَى فَتًى لَيْسَ مِثْلَـــهُ إِذَا الرِّيحُ سَاقَ الشَّولَ شَلاًّ جَهَامُـــهَا

وكذلك لجأوا إلى تكرار الأفعال التي أكدوا من خلالها مكانة هؤلاء الشـــهداء ومـــا عُرفوا به من شجاعـــة أرهبت الأعداء ، فهذا الشمردل يلجأ إلى إعادة الفعـــل (كـــان) ثلاث مرات في بداية ثلاثة أبيات من قصيدته التي رثى بها أخوه الحكم ، فقال [2]:

وَكُنْتَ سنانَ رمحي مـــن قَنَـــاتِي وَلَيْـــسَ الرمـــحُ إلاَّ بالسِّـــنانِ
وَكُنْتَ بنان كَفـــي مِـــن يميـــني وَكَيْـــفَ صلاحُـــهَا بَعْـــدَ البَنَـــانِ
وَكَانَ يَـــهَابُكَ الأَعْـــدَاءُ فِينَـــا وَلاَ أَخْشَـــى وَرَاءَكَ مَـــن رَمَـــانِي

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٢/٧٥٢ .

(٢) شعراء أمويون: ق٢/٥٥٤ .

أمّا سوادة بن عبد الله السلولي فيلجأ إلى تكرار الفعل (بكى) ثلاث مرات في شعره الذي رثى به هُبيرة بن المشمرج الكلابي ، وهذا الفعل قد شكل نغما موسيقيا حزينا يُبكي السامعين ، فقال [1]:

بَكَتْ الجِيَادُ الصَافِنَاتُ لِفَقْدِهِ وَبَكَاهُ كُلُّ مُثقَّفٍ عَسَّالِ

وَبَكَتْهُ شُعثٌ لم يجدن مُؤاسيا في العام ذي السَّنوات والإمحالِ

وقد عمدَ بعض الشعراء إلى تقوية النغم الموسيقي من خلال إعادة ألفاظ بصورة متناوبة في سياق النظم بين عجز بيت سابق وصدر بيت لاحق [2]، وقد وجدنا هذا الفن في شعر الشرعبي الطائي الذي وصف لنا به جانبا من معركة الشِّعب التي تكبدَ فيها المسلمون خسائر كثيرة ، واستشهد منهم الكثير ، فقال [3]:

أُحَامِي عَلَيْهَا حِينَ وَلَّىٰ خَلِيلُهَا تُنَادِي إِلَيهَا المسلمين فَتُسمعُ

تُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهَا صفَّ قومها أَلاَ رَجُلٌ مِنْكُم يَغَارُ فيرجعُ

أَلاَ رَجل مِنْكُم كَرِيم يرُدُّنِي يَرَىٰ الموتَ في بَعْضِ المَواطِن يَنْفَعُ

(١) تاريخ الطبري: ٨/١٠١ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي: ٢٢٤ .

(٢) ينظر: جرس الألفاظ: ٢٤٦ .

(٣) تاريخ الطبري: ٨/٢١٥ .

فمما تقدم نجد أن ظاهرة التكرار لها حضور في شعرهم الذي يخص موضوع دراستنا وهذا يدل على اهتمام شعراء العصرين بهذا اللون الصوتي في أشعارهم .

٢. التصريع:

وهو فن شعري يتمثل بكون قافية الشطر الأول هي قافية الشطر الثاني [١]. وكثيراً ما يقع التصريع في مطلع القصيدة أو عند الانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة الواحدة لأنه يعد أي الموضوع الجديد مستهل قصيدة جديدة [٢]، وخلال البحث عن هذا الفن في المادة الشعرية التي تخص موضوع البحث لم نجد له وجوداً إلاَّ القليل منه ، وربما يعود اختفاء هذا الفن إلى حذف نال مطالع ما وصلنا من قصائد [٣]، أو يعود السبب إلى ظروف نظم الشعر ، فاغلب شعراء هذا العصر كانوا مجاهدين قد خاضوا غمار أغلب المعارك يقاتلون مع إخوانهم المجاهدين ، فلم يسمح الوقت القصير الذي كان يتسنى لهم التأني والاعتناء بوجود مثل هذا الفن في أشعارهم [٤]، بل كانت غايتهم في تلك اللحظات هي توثيق الأحداث ورثاء الأشخاص وإنشاد أشعار قليلة الكلمات كثيرة المعنى تحفز المجاهدين على مواصلة القتال والفوز بجنان الخلود . فمما ورد من التصريع في إشعارهم شعر حسان يوم أحد خاصة رثاء حمزة رضي الله عنه فقال في مطلعها [٥]:

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الوَلِيدِ رُبُوعُ ... بَلاقِعُ مَا مِنْ أَهْلِهِنَّ جَمِيعُ

فجاءت العروض على وزن (مفاعي) وقد أصابها القطف وهو حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة وتسكين ما قبله [٦]، وكذلك جاء الضرب على الوزن نفسه ، في حين جاءت أعاريض القصيدة على وزن (مَفَاعِلُنْ) وقد أصابها القبض وهو حذف الخامس الساكن [٧] ، وهذه العلة دائما تكون على هذا الوزن من البحر الطويل [٨].

---

(١) ينظر: العمدة: ١٧٣/١ ، وفن التقطيع الشعري : ٥٣ .

(٢) ينظر: فن التقطيع الشعري : ٥٠ .

(٣) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٥/١ ، وينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٦٧ .

(٤) ينظر: شعر الفتوح الإسلامية:٢٣٨، وينظر: الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية:١٢٨، إحسان سركيس .

(٥) ديوانه: ٣٣٧ .

(٦) ينظر: فن التقطيع الشعري: ٢٠٨ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٤٧ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه : ٢٠٧ .

هذا بالنسبة لما يخص صدر الإسلام ، أما بالنسبة للشعر الأموي وفيما يخص موضوعنا فإن البحث لم يجد هذا الفن نهائيا ، وربما مرد هذا الخلو يعود إلى نفسية الشاعر وشعوره إزاء الموقف أو التجربة التي مر بها [1]، والتي لم تسمح له بأخذ الوقت الكافي لإبراز هذا الفن ، فضلا عن إن الإيقاع الداخلي – الذي التصريع جزء منه – يعتمد على قوانين النفس الفردية ، لا الجماعية ، لذلك لا يمكن ضبط ما للنفس من خصوصية خفية [2]، وهذا يؤيد اختفاءه من قسم معين من القصائد وتواجده في بعضها الآخر .

٢. **التقفية:**

عندما نجد العروض والضرب من روي واحد ووزن واحد دون أنْ يدخل على العروض أي تغيير سواء بالنقص أو الزيادة سمي ذلك بـ(التقفية) [3]، وفي الأشعار التي تخص دراستنا وجدنا نسبة التقفية أكثر من نسبة التصريع بالرغم من قلتها أيضا .

فمن ذلك ما ورد في شعر حسان بن ثابت في رثائه شهداء مؤتة ، فقال [4]:

تَنَاوَبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ وَهُمٌّ إذا ما نَوَّمَ النَّاسَ مُسْهِرُ

فكانت العروض على وزن (مَفَاعِلُنْ) وكذلك الضرب وقد أصابهما القبض وهو حذف الخامس الساكن [5]، وكذلك الأمر بالنسبة للروي ، فروي العروض كان الراء المضمومة و الأمر نفسه كان للضرب . في حين جاءت بقيةأعاريضالقصيدة على الوزن نفسه لكن دون أنْ يكون اتفاق في الروي . ومنه أيضا ما قاله في رثاء سعد وأصحابه من المسلمين ، فقال [6]:

أَلَا يَا لَقَوْمٍ هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ

---

(١) ينظر: الظواهر الفنية في قصيدة الحرب (الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب) : ٧١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه .

(٣) ينظر: في التقطيع الشعري: ٥١ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

(٥) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٠٧ .

(٦) ديوانه : ٢٦٧ .

فجاءت العروض والضرب أيضا على وزن (مُفاعِلُنْ) بروي متشابه وهو العين ، في حين جاءت بقية الاعاريض على الوزن نفسه .

وقد وجد هذا الفن أيضا في شعر خالد بن الوليد ﷺ في رثائه لابنه سليمان فقال[1]:

جرى مدمعي فوق المحاجر مُنْهَمِل وَحَرُّ فؤادي من جوى البين يَشْتَعِلْ

فالعروض هنا والضرب جاءا على وزن (مفاعلن) بلام ساكنة هي روي كل منهما ولم تختلف بقيةأعاريضالقصيدة عن هذا الوزن ،لأنها جاءت عليه .

وكذلك الأمر نفسه نجده في رثائه لزياد بن أبى سفيان ، فقال [2]:

هوام دموعي كالسحائب تَهْمَعُ وقلبي من فَقد الأحبة يَفْزَعُ

فاتفقت العروض والضرب بوزن واحد هو (مفاعلن) وكذلك بروي واحد وهو العين المضمومة ، أما بقية الاعاريض التي جاءت في القصيدة فإنها لم تختلف عن الوزن الذي اتفق عليه عروض المطلع وضربه ، وهذه خزانة بنت خالد بن جعفر نجد عندها هذا الفن في أبياتها التي رثت بها شهداء القادسية فقالت [3]:

فَيَا عَين جُودِي بالدموع السَّواجِمِ فَقَد شَرَعَتْ فينا سُيوف الأَعاجِمِ

فاتفق عندها العروض والضرب على وزن (مَفاعِلن) وبروي واحد وهو الميم المكسورة ولم تختلفأعاريضبقية الأبيات عن هذا الوزن .

فنحن نرى مما تقدم أن نسبة البحر الطويل من هذا الوزن كثيرة ، لكن هذا الأمر لم يمنع بقية البحور من أَنْ يكون لها نصيب من هذا الفن . لذلك نجد حسان بن ثابت ينظم أبياتاً في رثاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ على البحر البسيط ووجدنا فيها هذا الفن فقال [4] :

يا للرجال لِدَمعٍ هاجَ بالسَّنَنِ لقدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يبكي على الدِّمَنِ

---

(١) فتوح الشام: ٢/٢٦٧ .

(٢) المصدر نفسه: ٢/٣٠٠ .

(٣) معجم ديوان أشعار النساء : ٨٢ .

(٤) ديوانه: ٣١٩ .

فنرى أنّ وزن العروض قد اتفق مع وزن الضرب وهو (فَعِلُن) قد حُذِفَ منه أول وتده المجموع وهو العين وهو ما يسمى بالتشعيث [1]، كما اتفقا بروي واحد وهو النون المكسورة ، أمّا بقيةأعاريضالأبيات المتبقية فإنها لم تختلف عن هذا الوزن .

وكذلك الأمر نفسه في رثائه خُبيب بن عدي حيث نظم الأبيات التي رثاه بها على البحر الماضي نفسه ، وفي مطلع قصيدته نجد هذا الفن فقال [2]:

يا عينُ جُودي بِدَمعٍ منكِ مُنْسَكِبِ وابكي خبيباً مع الغادينَ لم يؤبِ

فكل من العروض والضرب جاءا على وزن واحد وهو (فَعِلُنْ) وكذلك جاء كل منهما بروي واحد وهو الباء المكسورة ، كذلك اتفقا مع بقيةأعاريضالقصيدة فقد جاءت على نفس الوزن . كما وجدنا هذا الفن في شعر نُظِمَ على البحر الوافر ، فمن ذلك شعر كعب بن مالك عندما رد به على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق وقد ضمن هذه القصيدة دفاعه ورثاءه لسعد بن معاذ فقال [3] :

وسائلةٍ تُسائلُ مَا لَقِينَا ولو شَهِدتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا

فوزن العروض والضرب واحد وهو (فَعولن) وكذلك رويهما واحد وهو النون المفتوحة وكان للبحر المتقارب حظه من هذا الفن ، فقد نظم كعب بن مالك شعره الذي رثى به حمزة بن عبد المطلب على هذا الوزن ، فقال [4]:

نشجتَ وهل لك من مَنشجِ وكنت متى تذَّكرُ تَلْجَجِ

فاتفق وزن العروض وروييما مع وزن الضرب ورويه ، فكان الوزن هو (فَعُوْ) وقد أصابه القطف وهو حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة [5]، أما رويهما الموحد فهو الجيم المكسورة ، وبقيةأعاريضالقصيدة لم تخرج عما اتفق عليه العروض والضرب .

---

(١) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٠٨ .

(٢) ديوانه: ٣٧٠ .

(٣) ديوانه: ٢١٥ .

(٤) ديوانه: ١٥٧ .

(٥) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٠٨

وهذا اللون الصوتي على قلته فقد كان له وجود في شعر الشهادة والشهيد في عصر صدر الإسلام ، أما في العصر الأموي وفيما يخص دراستنا فإن هذا اللون كاد يختفي إذ وجده البحث مرة واحدة فقط ، فقد وجد في قصيدة أبي صخر الهذلي التي رثى بها ابنه داود ، فقال في مطلعها [1]:

تَعَزَّيتُ عَنْ ذِكر الصِّبى والخَبائب وَأَصْبَحْتَ عِزْهَىٰ للصِّبى كالمُجَانِبِ

فقد اتفقت العروض والضرب وزنا ورويا ، إذ جاءا على وزن واحد وهو (مفاعلن) وبروي واحد وهو الباء المكسورة المطلقة ، أما بقية أغاريد القصيدة فقد جاءت على الوزن نفسه .

فكلا الحالتين (الأولى والثانية) جاءتا على البحر الطويل . وهذه القلة لهذا اللون نعزوها إلى طبيعة شعر (الشهادة والشهيد) الذي يتطلب الإيجاز والسرعة في نظم الأشعار التي اهتم شعراؤها بمضمونها وشكلها أكثر من أي شيء أحيانا ، إذ اتسمت هذه المضامين بصدق العاطفة والحرارة الإنفعالية [2] .

الإيقاع الخارجي: (الأوزان) .

الأوزان هي أول ركن وأهمه يميز الشعر من غيره من أجناس الكلام ، فهي أساس الشعراء الذين ينظمون عليه أشعارهم ، ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: هل يجب أن تكون هناك علاقة أو مناسبة بين الوزن والموضوع ، أو بعبارة أخرى هل يختص كل موضوع معين ببحر معين ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد لنا من أن نستعرض آراء

(١) شرح أشعار الهذليين : ٩١٥/٢ .

(٢) ينظر: الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية: ١٢٨ .

نقادنا القدامى لكي نتعرف على رأيهم في هذه المسألة والنتائج التي توصلوا اليها ، ومن ثمَّ نورد رأينا في هذه المسألة مؤيداً أو معارضاً مع ما يُثبت ذلك .

فابن طباطبا العلوي يؤكد ضرورة ارتباط الوزن بالموضوع ، فيقول: (فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يُريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، وأعدَّ له ما يُلبسه إياه من الألفاظ التي تُطابقه ، والقوافي التي تُوافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه) [1] ، وهذا التأكيد نجده أيضاً عند أبي هلال العسكري إذ يقول: (إذا أردت أن تعمل شعراً فاحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك ، وأخطرها على قلبك ، واطلب لها وزنا يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها ، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى ، أو تكون في هذه أقرب طريقا وأيسر كلفةً منه في تلك ، ولأنْ تعلوَ الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورونق خيرٌ من أنْ يعلوك فيجيء كزّاً فجّاً ، ومتجعداً جلفاً) [2] ، ولم يُخالف تأكيدهم هذا من جاء بعدهم ، فهذا حازم القرطاجني يؤكد ما ذهب إليه سلفه بكلامٍ نجد فيه شيئا من التفصيل ، فيقول: (ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة ، وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم ، وما يُقصد به الصغار والتحقير ، وجب أنْ تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس)[3]، فنحن نرى تأكيد هؤلاء جميعا وجود علاقة تربط بين الوزن والموضوع ، وهذا التأكيد نجد له صداه عند علمائنا المحدثين الذين حاولوا الربط بين الوزن والموضوع ، فالأستاذ أحمد الشايب يرى أنَّ (خير الأوزان ما لاءم موضوعه أو عاطفته العامة. وعلى الناقد أنْ ينظر في هذه الصلة بين المعنى والوزن لعله يجد في ذلك تناسباً يُكسب النظم قوة وجمالاً ، أو تجافياً يُذْهب بروعة الشعر وحسنه)[4]، لكن قضية ربط الوزن والموضوع هذه لم يكن لها إجماع عند المحدثين كما هو عند القُدامى ، فقسم منهم لا يرى (في مقاطع هذه الأوزان المتباينة ما يُوحي بمثل هذا ، فهي كلها تخضع لروح عام في توالي المقاطع ، ولا يفرّق بينها إلاّ

---

(١) عيار الشعر: ٥ .

(٢) الصاعتين: ١٣٩ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٦ .

(٤) أصول النقد الأدبي: ٣٢٤ ، د. احمد الشايب .

كثرة المقاطع أو قلتها)[1]، (فالبحور المختلفة وإن لم تختلف في " نوع " العواطف التي تصلح لها فهي تختلف في " درجة " العاطفة) [2].

فنحن نرى النتيجة التي توصل إليها الباحثون المحدثون – وقد خلا منهم الشايب – من أنّه لا توجد أي ضرورة تربط الوزن بالموضوع ، أو أنّ لكل غرض وزناً معيناً .

أما رأي البحث تجاه هذه المسألة فهو يؤيد هذه النتيجة التي تنفي أنْ يختص كل وزن بموضوع معين ، بل الأمر يتعلق بقدرة الشاعر وحالته النفسية التي يكون عليها عند نظمه الشعر ، ولكي نؤيد صحة ما ذهبنا إليه قام البحث بإحصائية لنصف المادة الشعرية التي حصل عليها ، فكانت (٥٠٥) بيتا من مجموع (١٠١٠) بيتا لكي نعرف الأوزان الشعرية التي نظمت عليها ، وبعد أن أُنْهِيَ العمل تبين لنا أنّه لا توجد أي علاقة بين الوزن والموضوع ، ولم يختص موضوع معين بوزن معين بل وجدناهم ينظمون أشعارا لموضوع معين ولكن بأوزان مختلفة ، كما نظمت أشعار لمواضيع متعددة على وزن واحد ، زيادة على ذلك (فإن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرنا بمثل هذا التخير ، أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه . فهم كانوا يمدحون ويفاخرون أو يتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعت عندهم ... من دون أن يتخيروا وزنا خاصا لموضوع خاص) [3]. ومن خلال هذا الاستنتاج أيضا استطاع البحث أنْ يلاحظ تسلسل الأوزان بحسب الاستخدام ، فقد جاء البحر الطويل في المرتبة الأولى ، إذ بلغ عدد المرات التي نظم عليها من مجموع الأشعار ثلاث وأربعين (٤٣) مرة ومعروف عن البحر الطويل رحابته وامتداده ورصانته [4]، لذلك نجد أنّ ما يقارب ثلث الشعر العربي القديم قد نظم عليه [5].

وحل بعده ثانيا بحر الرجز وجاء بنسبة ثمانية وعشرين (٢٨) مرة ، ولا نستغرب أنْ يشغل الرجز هذه المساحة من شعرهم ، وذلك (لصلاحيته ومناسبته لمواقف

---

(١) موسيقى الشعر: ١٧٦ ، د. أنيس إبراهيم .

(٢) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه: ٦١/١ ، د. محمد النويهي .

(٣) موسيقى الشعر: ١٧٧ .

(٤) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٣٦٢/١ ، عبد الله الطيب .

(٥) ينظر: موسيقى الشعر: ٥٩ .

الإرتجال ، لكونه من أنسب البحور الملائمة لمثل هذه المواقف التي تستدعي القول على البديهية لإثارة حماس المتحاربين وشحذ هممهم) [1]، فكل معركة خاض غمارها المجاهدون توشك أنْ تكون مسرحاً لكثير من الرجاز الذين يقدمون رجزهم بين أيدي القتال ، يفخرون فيه بشجاعتهم وبطولاتهم [2]، وبه يحرضون المجاهدين على مواصلة الجهاد والفوز بشرف الشهادة التي طالما تغنوا بها ، فرددتها ألسنتهم وتشوقت إليها نفوسهم ، فمن ذلك ما أنشده ابن رواحة وهو يقاتل الأعداء [3]:

يَا نَفْسُ إلا تقتلِي تَمُوتِي
هَذَا حِمَامُ المَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ
إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ
إنْ تَسْلَمِي اليومَ فَلَنْ تَفُوتِي
أَوْ تُبْتَلِي فَطَالَمَا عُوفِيتِ

كما إنَّ سهولة هذا البحر وملاءمته لمذاخ الحرب [4]، المتسم بضيق الوقت وعنف الأحداث هو أحد دوافع اتجاه الشعراء الفرسان إلى هذا النوع من الأوزان [5] .

وجاء البسيط في المرتبة الثالثة بنسبة سبعة عشر ، (١٧) مرة ، فهو (شديد الصلاحية للتعبير عن معاني العنف والتعبير عن معاني الرقة) [6]، فهذا الشاعر الرقيق متمم بن نويرة الذي طالما بكى على فقد أخيه ، يبكي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فقال [7] :

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢٣٣/١ .

(٢) ينظر: تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي: ٢٥ ، يوسف خليف .

(٣) ديوانه: ٨٧ .

(٤) ينظر: مدخل إلى قصيدة الحرب : ٤٦ .

(٥) ينظر: من أدب الدعوة الإسلامية. ٨٨ .

(٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٤٢٣/١ .

(٧) مالك ومتمم ابنا نويرة : ١٣ .

يُسائلني ابن بُجَير أَيْنَ أبكرُهُ عني فإن فُؤادي عَنْك مَشْغُولُ
هَلاَّ بِيَوم أَبِي حَفْصٍ وَمَصْرَعِهِ إن ابتغاءَك ما ضَيَّعْتَ تَضْلِيلُ

ومن بعده يأتي الوافر بنسبة ثماني (٨) مرات ، وهذا البحر من (أكثر البحور مرونة يشتد ويرق كيفما تشاء ، وأجود ما يكون في الفخر والرثاء) [١]، فمن ذلك قول أبي الأسود الدؤلي الذي افتخر بحبه لرسول الله ﷺ ، وقرابته الكرام ، ومنهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، وذو الجناحين جعفر بن أبي طالب ﷺ ، فقال [٢]:

أُحِبُّ مُحمداً حُبّاً شَديداً وَعَباساً وَحمزة والوَصيّا
وَجَعفر إنَّ جَعْفَرَ خَيرُ سِبْطٍ شَهيداً في الجنان مُهاجريّا
بَنُو عَمِّ النبي واقربوهُ أَحبُّ الناسِ كُلُّهم إليّا

ومنه أيضا ما قاله كعب النهدي في رثاء ابنه عمرو الذي استشهد مع مجزأة بن ثور [٣] في تستر [٤]، فحمد الله تعالى الذي جعل من صلبه من أصيب شهيداً ، وأنشد[٥]:

فَهَل تَعْدُو المَقَادِرَ يَالَقَومي هَلاَكَ المَالِ أَوْ فَقْدَ الرِّجَالِ
فَكُلاًّ قَدْ لَقيتُ وَقَلبتني صُروف الدَّهر حَالاً بَعْدَ حَالِ

وبعده يطالعنا بحر الجزالة وحسن الاطراد [٦]، إنه البحر الكامل الذي (يُعد من أفخم بحور الشعر وأكثرها جلجلة وحركات وفيه ما يوحي بالأبهة ما يمنعه أَنْ يكون خفيفاً)[٧]، فجاء بنسبة ست (٦) مرات ، وبعده نجد الرمل والسريع والخفيف وكل منهما جاء مرتين فقط .

---

(١) في التقطيع الشعري والقافية: ٨٤ .

(٢) ديوانه: ٧٣، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

(٣) هو مجزأة بن ثور بن عفير بن رهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسي ، قيل قتله الهرمزان ، وكان له ولد يقال له شقيق كان رئيس بكر بن وائل في خلافة عثمان ، ينظر: الإصابة: ٦/٤٤ – ٤٥ .

(٤) تستر : وهي أعظم مدينة خوزستان . ينظر: معجم البلدان : ٢/٤٤٣ .

(٥) المحبر: ٢٤٠ – ٢٤١ ، وينظر: الشعر: ١/١٨ .

(٦) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩ .

(٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١/٤٢٦ .

ولا ننسى أنْ نشير إلى مسألة مهمة لها علاقة بما تقدم ذكره ، وقد أفادنا الإحصاء المتقدم في الألفاظ والتعليق عليها ، وهي أنَّ هؤلاء الشعراء وهم ينظمون أشعارهم لم تكن لهم معرفة سابقة بهذه البحور وتفعيلاتها المختلفة ، بل ما نظموه كان اعتماداً على سلائقهم الأدبية والفطرية ، (ومما يدل على ذلك أنَّ جميع الشعر الجيد المستشهد به إنما هو لمن كان قبل وضع الكتب في العروض والقوافي) [1].

القوافي:

للقوافي مكانتها المهمة في موسيقى الشعر العربي ، فهذا الشعر لا يكتمل بمعناه الحقيقي بمجرد وجود الوزن فقط ، بل لابد من وجود القوافي معه فهما متكاملان لا يستقيم أحدهما بدون الآخر [2]، فهي (شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر) [3].

وهي وسيلة الشاعر التي تبعده عن الفوضى والضياع في خضم المعاني الشعرية المتشعبة ، لكن عليه أنْ يكون بارعاً في اختيار قوافيه كبراعته في اختيار الوزن الشعري الملائم لما يريد النظم من أجله [4]، يقول ابن جني: (العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع ...) [5] . فهي من وسائل تسهيل الحفظ ، لأنَّ القصيدة الموحدة القافية أسهل حفظاً من الشعر المرسل المتعدد القوافي ، كما إنَّ رنين القافية عقب كل بيت يجعل القارئ أو المستمع يشعر بأنه ما زال في نغم موسيقي موحد منسق [6]. (فإتساق القافية كاتساق الوزن يخلق شعوراً بوحدة الإيقاع الموائمة لوحدة المعنى) [7]، ومثلما أثبت لنا الإحصاء المتقدم أنه لا علاقة تربط بين الوزن والموضوع ، وأنهم نظموا موضوعاً معيناً على أوزان متعددة ، كذلك اثبت لنا تعدد القوافي واختلافها وتنوعها ، واختلاف القوافي

---

(١) نقد الشعر: ٦٢ .

(٢) ينظر: في التقطيع الشعري والقافية: ٢١٥

(٣) العمدة: ١/١٥١ .

(٤) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٢٣ .

(٥) الخصائص: ١/ ٨٤

(٦) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٢٠ .

(٧) المصدر نفسه .

هذا قد شمل اختلاف حرف الروي ، وقد يُظن أن حرف الروي هذا هو القافية ، والأمر ليس كذلك بل (هي شيء مركب من حروف وحركات تقرر جماع ما في البيت من حلاوة موسيقية) [1]، فهي كما يعرفها الخليل (من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يسبقه مع حركة الحرف الذي قبل الساكن) [2]، ولو كانت (القافية هي حرف الروي لجاز للشاعر أن يجمع بين "مائل" و "مثل" و "تمثال" و "مثال" ، "تمثيل" "ومتمثل" و"مثيل" وهو ما لا يجوز لاختلاف القافية مع اتفاق الروي) [3].

بالنسبة للقوافي فإن البحث وجدها ومن خلال الإحصاء السابق تنقسم على قسمين:

الأول: قوافٍ بحسب حرفها .

الثاني: قوافٍ بحسب حركتها .

القسم الأول ينقسم على نوعين: قافية مقيدة (وهي التي يكون رويها ساكنا) [4] (فيتحرر الشاعر بذلك من حركات الإعراب في آخر القافية) [5]، أما النوع الثاني فهي القافية المطلقة (وهي التي يكون رويها متحركاً) [6]، والنوع الأول (على حلاوته أحياناً وعلى ما فيه من حرية للشاعر قليل) [7]، ويؤكد هذا الكلام عدد المرات التي أحصاها البحث في استخدام هذا النوع إذ بلغت أربعاً وعشرين (٢٤) مرة ، أما القافية المطلقة فقد استخدمت ثمانين (٨٠) مرة ، فنحن نلاحظ هذا الفرق الواسع بين هاتين القافيتين ، فكل شاعر له ثقافته وقدرته التي تمكنه من اختيار ما يناسبه من هذه القوافي .

---

(١) في التقطيع الشعري: ٢١٣ .

(٢) مفتاح العلوم: ٢٧٠ .

(٣) في التقطيع الشعري: ٢١٣ .

(٤) مفتاح العلوم: ٢٧١ .

(٥) في التقطيع الشعري: ٢١٧ .

(٦) مفتاح العلوم: ٢٧١ .

(٧) في التقطيع الشعري: ٢١٧ .

أما القسم الثاني من القوافي فانه قد تحصل للبحث منها أربعة أنواع من أصل خمسة ، وهي المترادف والمتواتر والمتدارك والمتراكب ، أما النوع الخامس وهو المتكادس فإن البحث لم يجد له نصيباً من الإحصاء المتقدم . [1].

وجاء بالمرتبة الأولى من هذه الأربعة المتواتر بنسبة ثلاث وأربعين (٤٣) مرة جاء بعده المتدارك بنسبة ثمان وعشرين (٢٨) مرة ، حل بعده المترادف باثنتين وعشرين(٢٢) مرة ، وأخيرا جاء المتراكب مرة واحدة .

وهذا التنوع والتغيير قد شمل كما أسلفنا روي القافية ، فاستخدموا حرف الراء رويا ثمانية عشرة (١٨) مرة ، وجاء بعده اللام سبعة عشر (١٧) مرة ، والباء والدال والميم أحد عشر (١١) مرة ، والعين والنون سبع (٧) مرات ، والقاف ست (٦) مرات ، والياء خمس (٥) مرات ، والتاء والحاء والفاء والكاف مرتين اثنتين ، أخيراً جاء الجيم مرة واحدة . هذا بالنسبة للمادة الشعرية التي تخص عصر صدر الإسلام .

أما بالنسبة للمادة الشعرية التي تخص العصر الأموي ، فإنها تؤكد صحة ما خرجنا به من نتائج وإحصائيات ونحن ندرس المادة الشعرية التي تخص صدر الإسلام ، فبالنسبة لما يخص قضية ارتباط وزن معين بموضوع أو العكس من ذلك ، وهل وجد في مادة هذا العصر مثل الترابط بين الوزن والموضوع ؟ .

نقول ومن خلال الإحصاء الذي أجري على المادة الشعرية الكاملة التي تحصلت لهذا العصر والتي بلغت (٥٢٤) بيتاً إنه لا توجد أية علاقة بين الوزن والموضوع بل وجدناهم ينظمون أشعاراً لموضوع معين على أوزان مختلفة متعددة ، كما استطاع البحث ومن خلال هذا الإحصاء أنْ يرتب الأوزان التي استخدمت ترتيباً تنازلياً يعتمد على عدد المرات التي استخدم فيها الوزن المعين ، ففي المرتبة الأولى جاء البحر الطويل فقد استخدم هذا الوزن أربعاً وعشرين (٢٤) مرة ، فلا غرابة أنْ يحتل هذا الوزن هذه المرتبة، فهو بحر (يمتاز بالرصانة والجلال في نغماته ونبذباته المناسبة الهادئة) [2]،

---

(١) فصل السكاكي صاحب مفتاح العلوم الحديث عن تقسيم القوافي حسب حركاتها ، فجعلها خمسة أنواع. وهي المترادف، والمتواتر ، والمتدارك ، والمتراكب ، والمتكادس . ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٠ ، وينظر: فن التقطيع الشعري: ٢٦٩ – ٢٧٠ .

(٢) شرح لحمة الخليل في العروض والقافية : ١٠٤ عبد الحميد الراضي .

فمن ذلك شعر الشمردل في رثاء أخويه قدامة ووائل اللذين جاءه نبأ استشهادهما من فارس ، فقال [1]:

أَقُولُ إذا عَزَّيتُ نَفْسِي بِإخوةٍ ... مَضَوا لاِضعافٍ في الحَياةِ وَلا عَزلِ

جاء بعده في المرتبة الثانية الرجز إذ استخدم أربعة عشر (١٤) مرة ، فهو نشيد المجاهدين وهم يجودون بأنفسهم في سبيل الله تعالى ، فمن ذلك ما أنشده محمد بن زرعة العبدي وهو يجاهد أعداء الإسلام ، فقال [2]:

إنْ كَانَ لابُدَّ مَصِيرِي لِلفَنَا
فَمَا مَقَامِي بَعْدَ خَمْسٍ هَهُنَا
إنْ نِلْتُ مَا أَبْغِي فَقَد نِلْتُ المُنَى
جَنَّاتُ عَدنٍ لَيْسَ فِيهَا مَن عَنَا

فالرجز كان سلاح المجاهدين في رفع حماس إخوانهم المقاتلين ، إلى جانب ما يتميز به الرجز من سهولة وقربه من السليقة العربية [3] ، حل بعد الرجز البسيط إذ استخدم هذا البحر أحد عشر (١١) مرة ، فهو (قريب من الطويل ولكنه لا يتسع لأغراض كثيرة مثله ولو أنه يُفضل عليه من حيث الرقة) [4] فمن ذلك شعر الشمردل الذي يصف لنا فيه رقة أخوته الشهداء وشدة حيائهم ، فقال [5]:

إذَا غَدَا المُسكُ يَجري في مفارِقِهم ... رَاحُو كَأَنَّهُم مَرَّضَىٰ مِنَ الكَرمِ

جاء بعده البحر الكامل ذو التفعيلات الموحدة ، وهي من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف [6]، فمن ذلك شعر أحد المسلمين وهو يصف حب أصحابه للشهادة التي جعلتهم لا يهابون اقتحام الردى ، فقال [7]:

---

(١) شعراء أمويون: ق٢: ٥٤٧ .

(٢) الفتوح: ١٨٢/٨ .

(٣) ينظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٢٣٨ .

(٤) في التقطيع الشعري: ٦٨ .

(٥) شعراء أمويون: ق٢/٥٥٢ .

(٦) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢٤٦/١ .

(٧) شعر الخوارج: ١١٦ .

يَرِدْنَ حَوْمَاتِ الحِمامِ وإنَّما تَاللهِ عِنْدَ نفوسهم لصِغَار

أما الذي جاء بعده فلا يكاد يختلف عنه كثيرا ، فهو من البحور ذات التفعيلات شبه الموحدة ، إنه البحر الوافر فقد استخدم أربع (٤) مرات ، وهو بحر يمتاز بتدفق مقاطعه الصوتية وتلاحق أجزائه [١]، وهذه المواصفات جعلته مناسبا للأجواء الحماسية عندما تشتد المعركة ، والمسلمون المجاهدون بأمس الحاجة إلى غذاء روح يحفزهم على مواصلة جهادهم للظفر بنعمة الشهادة فمن ذلك ما أنشده سعيد بن عمرو الحرشي [٢]:

فَمَا أَنَا فِي الحروبِ بمستكينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاولة الرِّجَالِ

وحل بعده خامسا البحر الخفيف إذ استخدم مرتين فقط ، وهو (شبيه بالوافر من حيث اللين ولكنه أسهل منه) [٣] . جاء بعده السريع والمتقارب إذ استخدما مرة واحدة فقط .

أما بالنسبة للقوافي فقد وجدت على قسمين كما هو الحال بالنسبة لقوافي شعر صدر الإسلام ، قواف بحسب حروفها ، وقواف بحسب حركتها .

أما ما يخص القسم الأمور منها ، فقد احتلت القافية المطلقة المرتبة الأولى إذا استخدمت ثماني وثلاثين (٣٨) مرة ، أما المقيدة فإنها استخدمت ثماني عشرة (١٨) مرة، وهذا الإحصاء يؤيد صحة ما أكدناه سابقا ونحن ندرس قوافي شعر صدر الإسلام ، أن القافية المقيدة أقل استخداما في الشعر العربي ، على عكس المطلقة التي تعطي الشاعر حرية اكثر في مد النفس الشعري ، وهي في الوقت نفسه دليل قدرة الشاعر وتمكنه من

---

(١) ينظر: شرح نخعة الخليل: ١٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري: ٨/١٦٩ .

(٣) في التقطيع الشعري: ١٥٩

نظمه للشعر وهذا الاهتمام بالقوافي جاء لكونها (تحافظ على نغمة القصيدة وانتهاءة واحدة للأبيات) [١] ، كما إنها تضبط المعنى وتحدده تحديداً كاملاً وتشد البيت شداً وثيقاً بكيان القصيدة العام ، ولولاها لأصبحت محاولة مفككة [٢].

وهذا التقسيم ذو صلة وثيقة بحرف الروي الذي على أساس حركته سميت القافية مطلقة أو مقيدة [٣]، وهو – الروي – أيضا تنوع واختلف بين الشعراء فكل منهم يختار روياً معيناً يختم به حروف أبياته ، وهذا الاختيار له صلة وثيقة بنفسية الشاعر وثقافته الشعرية وذلك من خلال ملاحظة الحروف التي تسبق حروف الروي ، وهل هناك تناسب بين حروف الروي وما يسبقه من حروف [٤] ، فضلاً عن طبيعة بعض المواضع التي قد تتطلب روياً معيناً .

ومن خلال الإحصاء المتقدم وجدنا أنّ حرف الميم قد جاء بالمرتبة الأولى رويا لأشعارهم إذ استخدم ثلاث عشرة (١٣) مرة ، جاء بعده الراء واللام إذ استخدما عشر مرات ، وحل ثالثاً بعدهما حرف الباء إذ استخدم ثماني مرات ، جاء بعده حرف النون بنسبة ست مرات ، أما الفاء فقد حل بالمرتبة الخامسة إذ جاء ثلاث مرات رويا لأشعارهم، بعده جاء الحاء والدال والعين بنسبة مرتين ، وجاء أخيراً الشين والصاد والياء بنسبة مرة واحدة .

أما بالنسبة لتنوع القوافي بحسب حركتها ، فإننا قد وجدنا نوعين من مجموع خمسة أنواع أوضحناها في شعر صدر الإسلام ، وهما المتواتر وجاء بنسبة ست وعشرين (٢٦) مرة ، جاء ثانيا المتدارك بنسبة تسع عشرة (١٩) مرة . ومما تقدم نجد تقاربا بين شعر العصرين ، وهذا التقارب أوجدته العقيدة الواحدة ، عقيدة الشهادة في سبيل الله تعالى .

---

(١) في التقطيع الشعري: ٢٢١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢٤٣ – ٢٥٨ .